نشر وتوزيع
الكويت ص. ب: ٢١٨٥٧ - الصفاة - تلفون: ٢٧٤٣٣
تلكس ٢٤٣٥١ تكنو - كويت - برقيا: السندباد

أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية

تأليف
الدكتور/ عبد العال سالم مكرم
استاذ الدراسات النحوية
بجامعة الكويت

أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية

تأليف

الدكتور/ عبد العال سالم مكرم

استاذ الدراسات النحوية
بجامعة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »

صدق الله العظيم

• • • •

« نزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه » .

(حديث شريف)

تقـــــديم

بينت في كتابي « القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية » الذي طبعته دار المعارف طبعة أولى ـ أنّ القرآن الكريم أثر في الدراسات النحوية تأثيراً كبيراً ووضحت هذا التأثير في أبواب وفصول .

والقرآن الكريم نزل على سبعة أحرف ـ كما في الحديث الشريف ـ والأحرف المراد بها القراءات العديدة التي تتسع لبعض ظواهر اللهجات العربية السائدة ليكون التحدّي للعرب جميعاً أتمّ والإعجاز أشمل ، هذا من ناحية ، ولينتفع العرب جميعاً بهذه القراءات ، لأنها ليست غريبة على مسامعهم أو بعيدة عن نفوسهم من ناحية أُخرى . وهذه القراءات أثيرت في مجالها مشكلات عديدة ، وقضايا مختلفة ، يتضح ذلك في هذه التساؤلات .

ـ كيف نشأت القراءات ؟

ـ ما صلتها باللهجات العربية السائدة ؟

ـ ما علاقتها برسم المصحف ؟

ـ كيف تكون القراءات مقبولة ، وكيف تكون شاذة ؟

ـ ما موقف علماء اللغة والنحو من هذه القراءات ؟

كل هذه التساؤلات عرضت في هذا الكتاب ، ونوقشت مناقشة علميّة لبيان وجه الحق فيهـــــا .

وهذا الكتاب يعتبر تكملة لأخيه السابق « القرآن الكريم وأثـــره في الدراسات النحوية » وقد تفضل المجلس الأعلى للشئون الإسلاميـــة في مصر بطبع هذا الكتاب على نفقته في سلسلة « دراسات في الإسلام » العـــدد ٩٩ ـ السنة التاسعة في أغسطس ١٩٦٩ ـ

والكتاب على الرغم من صغر حجمه مرجع لا يستغنى عنه في مجال القراءات والنحو ، وقد أفاد منه كثير من الزملاء ، واعتمدوه مرجعاً مـــن مراجع بحوثهم ودراساتهم .

لهذا رأيت أن أُقدّمه من جديد في طبعة جديدة بعد أن نفدت طبعته الأولى من المكتبات ليواصل مسيرته في رحلته إلى العالم العربيّ والإسلاميّ حاملاً أنواراً من القرآن الكريم ، وقبساً من الذكر الحكيم .

وأرجو الله أن ييسّر الإفادة منه ، والإنتفاع به . إنه على ما يشاء قدير .

عبدالعال سالم مكرم

الكويت

رمضان ١٣٩٨هـ – أغسطس ١٩٧٨ م

الفصل الاول

نشأة القراءات وتطورها

١ ــ نشأة القراءات ورسم المصحف :

يرى المستشرق « جولد تسيهر » أن نشأة الكثرة من القراءات ترجع إلى رسم المصحف .

وعجبت لم ينفرد جولد تسهير بهذا الرأي الذي اشتهر به ؟ وقلت في نفسي ، لم تسرب هذا الرأي إلى عقله ؟ ومن الذي أوحى به إليه ؟ ولما وقفت على رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر للآية المشهورة في سورة « الأنعام » « وكذلك زيَّن لكثير من المشركين قتل أولادِهم شركاؤُهم »(١) ـ تأكد لي أن مصدر الوحي بهذا الرأي هو الزمخشري حيث وقف من قراءة ابن عامر لهذه الآية موقف الناقد .

وبيان ذلك أن ابن عامر كان يقرأ « قتلُ أولادَهم شركائِهم » برفع القتل ، ونصب الأولاد ، وجر الشركاء ، على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما في غير ظرف .

وكان من رأي الزمخشري أن هذه القراءة مردودة ، لأنها مخالفة للقواعد النحوية التي لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف .

وأرجع الزمخشري خطأ ابن عامر في هذه القراءة إلى رسم المصحف حيث قال : « والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء »(٢) فالسبب إذاً في هذه القراءة في رأي الزمخشري هو رسم المصحف ومعنى ذلك أن ابن عامر اعتمد على المصحف ، ولم يعتمد على الرواية .

ومن هنا فتح الباب أمام هذا المستشرق فقال ما قال .

أما الزمخشري ، فلم يسكت الباحثون عن رأيه ففندوه ، وناقشوه .

---

(١) الأنعام – آية ١٣٧ .

(٢) البحر المحيط جـ ٤ ص ٢٢٩ و ص ٢٣٠ .

يقول أبو حيان : « وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ، وفهمهم ، وديانتهم »(١) .

وأما « جولد تسيهر » قد تكفل بالرد عليه الدكتور المرحوم عبدالحليم النجار حيث قال معقباً على رأيه في كتابه « مذاهب التفسير الإسلامي » ما نصه : (لم يكن الخط العربي سبباً في إختلاف القراءات ، بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانية من إهمال النقط والشكل فليست العبرة بالخط ، والا لاعتمدت قراءات يسمح الخط بها)(٢) .

ولم يكتف الدكتور النجار بهذا الرد على المستشرق بل تعقب أدلته التي استدل بها على رأيه ليفندها ، ويعان زيفها .

فقد قال المستشرق : إن الآية « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه »(٣) كان حماد يقرؤها « أباه » بالباء الموحدة .

فرد عليه الدكتور النجار قائلاً « هذه قراءة منكرة بالاتفاق ، فليست من السبع ، ولا الأربع عشرة ، ولو كان مجرد الخط كافياً لاعتمدت »(٤) ويرى المستشرق أن الآية « ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون »(٥) قرأها بعضهم « تستكثرون » بالثاء المثلثة .

---

(١) المرجع السابق .
(٢) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٨ .
(٣) التوبة – ١١٤ .
(٤) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٩ .
(٥) الأعراف – ٤٨ .

فرد عليه الدكتور النجار قائلا : « لم تعتمد هذه القراءة في القراءات السبع ولا الأربع عشرة ، بل هي منكرة ، ولا يعرف على وجه التحديد من قرأ بذلك ، وحسبك هذا دليلاً على أن الخط لم يكن هو العمدة في صحة القراءة »(١) .

وربما كان من أكبر الأدلة على بطلان رأي جولد تسيهر « أن هذه القراءات رويت . . . وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف ، كما كان القرآن محفوظاً في الصدور قبل تدوين المصاحف ، وجمع القرآن ، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ، ولا الشكل اخترع ، فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط فكانت قراءتهم للكلمة ، على حسب ما يروون وينقلون لا على حسب ما يقرءون في المصاحف »(٢) .

وفي رأيي أن جولد تسيهر تورط في هذا الرأي ، لأنه لم يجد دليلاً واحداً يعتمد عليه اللهم إلا رأي الزمخشري في قراءة ابن عامر التي أشرت إليها ، وهي — كما بينت — قراءة صحيحة ، لا تتعلق برسم المصحف وإنما تتعلق بالرواية والنقل .

ولو كان ما ذهب إليه المستشرق صحيحاً لاضطربت المصاحف وغيرت الآيات ، وبدلت كلماتها القرآنية بكلمات أخرى لا تمت إليها بصلة ، وحينذاك يضيع كتاب الله ، وتضيع معالمه ، ذلك لأن القارىء الذي لم يتلق القرآن عن طريق المشافهة والسماع يعز عليه في كثير من الأحيان أن يقرأ صحيحاً ، ومن ثم تعتري قراءته التصحيف ولا نبالغ إذا قلنا أن هذه التصحيفات ، وقعت من رجال لهم شهرتهم الأدبية ، ومقدرتهم اللغوية كالمبرد الذي تحدث عن تصحيفه أبو القاسم على بن حمزة في كتابه « التنبيهات على أغاليط الرواة » فقال :

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٩ .

(٢) القراءات واللهجات ص ١٨٣ . بتصرف . للأستاذ عبدالوهاب حموده . مطبعة السعادة — ط أولى .

قال(١) في قول الفرزدق :

وقد مات بسطام بن قيس بن خـــــالد

ومات أبو غسان شيخ اللهـــــــازم(٢)

يعنى بسطام بن قيس بن خالد الشيباني ، وهو فارس بكر بن وائل ثم قال: .... « وقتل بالحسن وهو جبل ، وهذا غلط منه مركب من تصحيف ، إنما الحسن شجر » سمي الحسن لحسنه بكثيب من رمل ، ينسب الكثيب إليه ، فيقال : نقا الحسن ، ويقال ليوم قتل بسطام يوم النقا . قال الفرزدق :

خـــــالي الذي ترك التجيع برمحـــــه

يوم النقـــــا شرقاً على بسطـــــام(٣)

ثم قال ـ والقائل أبو القاسم : وكان أبو العباس صحفياً ، ومن نقـــــل اللغة عن الصحف صحّف ، وإنما وجده جبل رمل ، فقال : جبل ، وأسقط الرمـــــل(٤) . »

فإذا كان نقل اللغة عن الصحف تصحيفاً ، فالأمر كذلك بصدد المصحف فمن نقل القرآن عنه ، وأغلق أذنه دون الرواية والنقل ، وقع في التصحيف . فحماد الراوية حفظ القرآن من المصحف ، وقد أخذ عليه أنه كان يقـــــرأ « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه » بالباء الموحدة(٥).

---

(١) القائل أبو العباس المبرد .

(٢) اللهازم ـ لقب بني تيم الله بن ثعلبة انظر : أقرب الموارد ص ١١٦٥ جـ ٢ .
لسعيد الخوري الشرتوني ـ مطبعة مرسلي اليسوعية سنة ١٨٨٩م
وفي ديوان الفرزدق : وقد مات بسطام بن قيس وعامر (جـ ٢ ص ٧٦٥ مطبعة الصاوي) .

(٣) ديوان الفرزدق جـ ٢ ص ٨٥٠ من قصيدته التي يناقض بها جريراً ، مطبعة الصاوي .

(٤) التنبيهات على أغاليط الرواة ص ١٤٧ : أبو القاسم علي بن حمزة . مخطوط ٢٢ لغـــة. مكتبة الشنقيطي .

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي ص ٩ .

وروي أن حمزة الزيات « كان يتعلم القرآن من المصحف ، فقـــرأ يوماً – وأبوه يسمع – « الٓمٓ ، ذلك الكتاب لا ريب فيه (١) » فقال أبوه : دع المصحف ، وتلقن من أفواه الرجال »(٢) .

وحدث اسماعيل بن محمد البسري قال (سمعت عثمان بن أبي شيبة يقرأ : » وجعل السقاية في رجل أخيه(٣) » فقلت له : ما هذا ؟ قال: تحت الجيم واحد » (٤).

وأخبر ابن عمار قال : « انصرفت من مجلس عبدالله بن عمر بن أمان القرشي . . . فمررت بمحمد بن عباد بن موسى ، فقال : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبي عبدالرحمن مشكدانه ، فقال : ذاك الذي يصحف على جبريل – يريد قراءته : » ولا يغـــوث ويعوق ، ونسرا (٥) » وكانت قد حكيت عنـــه » (٦) .

ومن أجل هذه التصحيفات التي تخل بمنطق الآيات قالوا : لا تأخذوا القرآن من مصحفي ، ولا العلم من صحفي » (٧) .

والتصحيف في القرآن من أهم الأسباب التي جعلت أولى الأمر يهتمون بتنقيط المصحف وذلك أن الناس « غبروا يقرءون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبدالملك بن مروان ثم كثر التصحيف، وانتشر بالعراق ، ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات »(٨) .

---

(١) البقرة ١ ، ٢ .
(٢) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٣) يوسف – ٧٠ .
(٤) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٥) نـــوح – ٢٣ .
(٦) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٧) التصحيف والتحريف ص ٩ .
(٨) وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٢٥ ط . ١٣١ .

ومن عجب أن هذه التصحيفات عدها ذلك المستشرق قراءات ، وبين أنها نشأت عن خط المصحف ، وغاب عن ذهنه أن القراءات مصدرها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتاقينها لأصحابه ، وهؤلاء لقنوها لغيرهم حتى وصلت إلينا ، وستصل إلى غيرنا بالطريقة نفسها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليهـــا .

وإلى هذا الوقت نجد معلم الكتاب ، يبتدىء مع التلميذ الصغير أول ما يبتدىء بتحفيظ القرآن قبل أن يجيد القراءة والكتابة ، لإ يمانه أن قراءة القرآن أمر لا يؤخذ من الخط أو الرسم .

وإذا نظرنا إلى الأمصار الإسلامية وجدنا أن كل مصر التزم قراءة قارىء بعينه مع احتمال رسم المصحف لهذه القراءة ، وأن القراء انتشروا في الأمصار ليعلموا الناس قراءة القرآن ، إيماناً منهم بأن المصحف وحده لا يغنى شيئاً في مجال القراءة .

ففي مصر أول من قرأ القرآن بها « هو أبو أمية عبيد بن محمد المغافري وكل القراءات بمصر رواية عن نافع نقلها عنه إلى مصر عثمان بن سعيد المصري المعروف بورش . . .

ويحدثنا السيوطي أن عمر بن عبدالعزيز أرســل نافعاً إلى مصر ليعلــم المصريين فأقام نافع بمصر مدة طويلة . .

وأخذ الأندلسيون قراءة نافع عن عبدالصمد بن عبدالرحمن بن القاسم المصري المتوفي سنة ١٣١ هـ »(١) .

وبعد ، أفلم يكن — أيها المستشرق — لــدى المصريين أو الأندلسيين مصاحف يقرءون فيها ، ويستغنون بها عن نافع وغيره من القراء ؟

إذا كان الأمر يتعلق بقراءة القرآن الكريم حيثما اتفق لصح ذلك ولكن قراءة القرآن دعامتها الراوية والمشافهة كما بينت لك .

(١) أدب مصر الإسلامية ص ٣٦ : الدكتور محمد كامل حسين ، بتصرف . مطبعة الوفد .

٢ ــ القراءات ولهجة قريش :

قبل نزول القرآن الكريم كانت للغة قريش أو لهجتها السيادة على اللهجات العربية الأخرى ، وقد استطاعت أن تصل إلى هذه السيادة بعد مراحل عديدة من احتكاك اللهجات العربية بها فكانت لهجة قريش تأخذ من هذه القبائل ما تحتاج إليه حتى تم تكوينها ، وسهل قيادها ، وكمل تهذيبها .

وقد ساعدها على ذلك عدة عوامل مختلفة ــ سجلتها في كتابي : المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة (١) .

على أن هذه السيادة للهجة القريشية ليس معناها أن قريشاً فرضت لهجتها فرضاً ، فاللهجات التي يحتك بعضها ببعض ، تتأثر كل لهجة منها بالأخرى ، منتصرة كانت أو غير منتصرة ، لأن قوانين اللغات تقرر « أن اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها بل إن طول احتكاكها باللغات الأخرى ، وشدة كفاحها معها وما تبديه بعض اللغات المقهورة من مقاومة . . كل ذلك وما إليه يترك في اللغة الغالبة آثاراً كثيرة من اللغات المغلوبة في نواحي الأصوات والقواعد ، والأساليب ، وينقل إليها كثيراً من مفرداتها ويبدو هذا التأثر بأوضح صورة في النواحي التي تعوز اللغة الغالبة . فاللغة الغالبة تعمد في العادة إلى خصمها المقهور ، فتمتص منه ما تحتاج إليه ، وتستلبه ما يعوزها قبل أن تجهز عليه »(٢) .

ومعنى ذلك أن لهجة قريش اشتملت على خصائص كثيرة من لهجات القبائل العربية الأخرى . فإذا قلنا : أن القرآن نزل بلغة قريش لا نقصد أنه غض النظر عن لغات القبائل الأخرى ، وإنما نقصد أنه نزل بلغة قريش ، لأنها اللغة النموذجية الأدبية التي تكونت بعد مراحل عديدة ، والتي اشتملت على كثير من خصائص لهجات العرب الأخرى .

---

(١) سيصدر قريباً ـ ان شاء الله ـ نشر دار الشروق ببيروت .

(٢) فقه اللغة : ص ١١٢ : الدكتور علي عبدالواحد وافي . مطبعة لجنة البيان العربي ـ ط ثالثة .

وبهذا الاعتبار لا تصبح لغة قريش غريبة على ألسنة وأسماع القبائل الأخرى ، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ليكون معجزاً للعرب جميعاً .

وإذا كان الشأن كذلك فلم لم يلتزم القرآن الكريم هذه اللهجة وحدها لتكون قراءة الجميع ؟ وبذلك يغلق الباب أمام القراءات التي لا تكون دعامتها لهجة قريش .

أقول : لو كان الأمر كذلك لما تمت المعجزة ، وادعى كثير من المكابرين أن القرآن الكريم نزل بالأفصح مما يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثله ولو نزل بالفصيح وحده لكان من الممكن للفصحاء من القبائل الأخرى أن يأتوا بمثله .

وليقطع القرآن الكريم دابر هؤلاء المغرضين نزل بعضه بهذه اللهجات غير لهجة قريش ، ليكون تحديه أتم ، وقدرته أبلغ في باب الاعجاز قال ابن الجزري : « لو جاء القرآن كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتم الحجة في الاعجاز ، وإذ يقال مثلاً إنه جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى : قد غلبتك بنظري ، لأن الأعمى يقول له : إنما تتم تلك الغلبة ، لو كنت قادراً على النظر ، وكان نظرك أقوى من نظري ، أما إذا فقد أصل النظر ، فكيف تصح مني المعارضة »(١) .

هذه ناحية ، وناحية أخرى – غير الإعجاز – هي الانتفاع بالقرآن الكريم وحفظه ، والترغيب في تلاوته ، ومداومة النظر فيه ، وذلك لو كان بلغة قريش وحدها لما استطاعت هذه القبائل أن تحقق هذه الغاية لأنه بلهجة غير لهجتها .

ولعل قائلاً يقول : إذا كانت اللغة القرشيّة مفهومة لدى العرب لا يصعب فهمها ، فلا داعي لتعدد هذه القراءات ؟

(١) من مقال للمرحوم الشيخ عبدالجواد رمضان عنوانه « القرآن واللغة » بمجلة الأزهر المجلد ٢٢ ص ٦٠٠ .

أقول : إن الفهم شيء والنطق بهذا المفهوم شيء آخر ، فقد يصعب على هذه القبائل أن تمرن ألسنتهم على لهجة قريش ، بعد أن أصبحت لهجتهم جزءاً من كيانهم ، ومن ثم كانت الحكمة واضحة ، والعلة ظاهرة في أن ينزل القرآن الكريم بلهجة قريش وغيرها من اللهجات .

٣ ــ الأحرف السبعة والقراءات :

روى البخاري قال : « حدثنا سعيد بن عفير ، قال : حدثني الليث ، قال : حدثني عقيل عن ابن شهاب قال : حدثني عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة ، وعبدالرحمن بن القارى حدثـــاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه . فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ . قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : إني سمعت هذا يقرأ بسورة « الفرقان » على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله . إقــرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت . ثم قال : إقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التي أقرأني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كذلك أنزلت . إن هذا القرآن أنزل عـــلى سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه »(١) .

وقد تواترت رواية هذا الحديث الشريف . فقد « روي الحافظ أبو يعلي الموصلي في مسنده الكبير أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال يوماً : وهو على المنبر ــ أذكّر أن رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا أن

(١) صحيح البخاري : ج ٦ ص ١٨٥ ، المطبعة الأميرية سنة ١٣١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال أُنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ، فقال عثمان رضي الله عنه ، وأنا أشهد معهم » (١) .

واختلف علماء العربية في تفسير هذا الحديث الشريف اختلافاً كبيراً إلى حد أن روى له السيوطي في كتابه « الاتقان » أربعين وجها(٢) .

ونحن لا نستطيع أن نسجل هذه الآراء جميعاً لنوازن بينها ، ونصل إلى الصحيح منها ، لأن ذلك صعب عسير ، ونكتفي في هذا المقام بذكر بعض الآراء للمشهورين من علماء اللغة ، والنحو والقراءات .

١ – رأي ابن قتيبـــــة :

قال ابن قتيبة : (وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجـــــه :

أولها : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب . ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى « هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم »(٣) « وأطهرَ لكم » ، « وهل نجازي إلا الكفورَ »(٤) « وهل يجازي إلا الكفـــــور » . .

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة ، وحـــركات بنائها بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعـــالى : « ربنا بَعِّدْ بين أسفارنا »(٥) ، و « ربنا باعِدْ بين أسفارنا »(٦) . الخ . . . .

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في الكلمة ، بما يغير صورتهـــا في الكتاب ، ولا يغير معناها ، نحو قوله : « إن كانت إلا زقية واحدة »(٧)

---

(١) النشر : جـ ١ ص ٢١ .

(٢) الاتقان جـ ١ ص ٤٥ مطبعة الحلبي . ط ثالثة .

(٣) بضم الراء وفتحها – هود : ٧٨ .

(٤) سبأ : ١٧ .

(٥) بفتح الباء مع تشديد العين وسكون الدال – سبأ : ١٩ .

(٦) باعد خفيفاً بألف.

(٧) يس : ٢٩ .

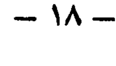

وصيحة ، « وكالصوف المنفوش ، وكالعهن(١) » .

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله « وطلع منضود » في موضع « وطلح منضود »(٢) .

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى « وانظر إلى العظام كيف ننشزها »(٣) وننشرها .

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله : « وجاءت سكرة الموت بالحق »(٤) وفي موضع آخر « وجاءت سكرة الحق بالموت » .

والوجه السابع : « أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى « وما عملت أيديهم » (٥) « وما عملته أيديهم(٦).

رأي ابن قتيبة بين المؤيدين والمعارضين :

من المؤيدين لابن قتيبة : الشيخ محمد بخيت المطيعي حيث رد على ابن عبد البر الذي أنكر أن يكون معنى الأحرف اللغات لاختلاف عمر وهشام ولغتهما واحدة .

قال الشيخ بخيت « وأقول : إن معنى نزوله باللغات المذكورة هو أن الله أذن بقراءته بكل لغة فيها ، فلا مانع أن هشاماً يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش أيضاً ، فيكون قد تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم القراءة بلغة قريش، وبلغة غيرهم »(٧) .

---

(١) القارعة : ٥ .
(٢) الواقعة : ٢٩ .
(٣) البقرة : ٢٥٩ .
(٤) ق : ١٩ .
(٥) يس : ٣٥ .
(٦) تأويل مشكل القرآن ص ٢٨ ، ٢٩ : تلخيص وتصرف .
(٧) الكلمات الحسان في الحروف السبعة ص ٥٩ . الشيخ محمد بخيت المطيعي ، المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٣ . ط أولى .

ومن المؤيدين لابن قتيبة الدكتور إبراهيم أنيس حيث استدل برأي ابن قتيبة في أن المراد بالأحرف اللغات قال: «وقال ابن قتيبة في كتابه المشكل» فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم ، وما جرت عليه عاداتهم ، فالهذلي يقرأ : عتى حين ، والأسدي : يقرأ : « تعلمون » بكسر التاء ، والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز » (١) .

ومن المعارضين لرأي ابن قتيبة ابن عبد البر :

قال ابن عبد البر (أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات لما تقدم من اختلاف هشام وعمر ، ولغتهما واحدة)(٢) .

وفي رأي ابن عبد البر أن المراد بالأحرف السبعة (سبعة أوجـــه من المعاني المتفقة . بالألفاظ المختلفة . نحو أقبل ، وهلم ، وتعال)(٣) .

وأراد ابن حجـــر أن يوفق بين الرأيين ، رأى ابن قتيبة ، ورأي ابن عبدالبر فقال : (ويمكن الجمع بين القوابن ، بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى مع انحصار ذلك في سبع لغات)(٤) .

٢ - رأي الطبري :

قال أبو جعفر الطبري بعد أن ساق الأحاديث العديدة في نزول القرآن على سبعة أحـــرف :

« صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة بما يعجز عن إحصائه . فإن قال : وما برهانك على أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : نـــزل القرآن على سبعة أحرف ، وقوله : أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف هو ما ادعيته من أنه نزل بسبع لغات ، وأمر بقراءته على سبعة ألسن دون أن يكون

(١) اللهجات العربية ص ٣٨ .

(٢) لطائف الإشارات في علم القراءات ورقة ٩ : لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني . مخطوط رقم ١٦١ - قراءات دار الكتب .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

(٤) المرجع نفسه والصفحة .

معنـــاه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر ، وترغيب وترهيب ، وقصص ، ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال ، فقد علمت أن قائلي ذلك من سلف الأمة ، وخيار الأئمـــة)(١) .

ويجيب الطبري مدللاً على رأيه بقوله « إنّ: عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب . . تماروا في القرآن فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني ، ثم احتكموا فيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأ كلّ رجل منهم ، ثم صوب جميعهم في قراءاتهم على اختلافها . .

ثم قال : ومعلوم أن تماريهم فيما تماروا فيه من ذلك لو كان تمارياً وإختلافاً فيما دلت عليه تلاواتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيـــد ، وما أشبه ذلك لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم صلى الله عليه وسلم ، ويأمر كل قارىء منهم أن يلزم قراءته في ذلك على النحو الذي هو عليه)(٢) .

رأي الطبري بين المؤيدين والمعارضين :

يؤيد الطبري في هذا الرأي أبو عبدالله الزنجاني فقد قال : « المـــراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة . بالألفاظ المختلفة . نحو : أقبل وهلم ، وتعـــال ، وعجل ، وأسرع ، وأخر ومهل ، وامض وأسر ، وهذا الوجه هو ما اختاره الطبري في مقدمة تفسيره . ثم يقول الزنجاني : وهـــذا الوجه هو الذي لا يراه العقل بعيداً ، فإن الاختلاف لو كان في المعنى بسبعة أوجه يفسر بها المعنى ، فقد يفضى إلى معنيين متضادين ، فكيف يجيز النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما أراد الله بيانه من الآية .

ثم استدل بما رواه الأعمش عن أنس أنه قرأ هذه الآية : « إنّ ناشئة الليل هي أشد وطأ ، وأصوب قيلا(٣) » ، فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة . إنما هي أقوم ، فقال : أقوم ، وأصوب ، وأهدى واحد» (٤)) .

---

(١) تفسير الطبري جـ ١ ص ١٥ : أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري ، بتصرف .
(٢) المرجع نفسه ص ١٦ بتصرف .
(٣) المزمل : ٦ .
(٤) تاريخ القرآن : ص ١٥ – ١٦ : لأبي عبدالله الزنجاني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ويعارض الطبري في هذا الرأي الدكتور صبحي الصالح فيقول : « إن علماء الغرب يؤيدون وجهة الطبري لحاجة في نفس يعقوب ، وتشبث « بلاشير » بهذا يؤكد أن نظرية القرآن بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية في الحياة الإسلامية لأنها أسلمت النص القرآني إلى هوى كل شخص يثبته على ما يهواه » (١) .

٣ – رأي أبي حاتم السجستاني :

قال أبو حاتم السجستاني (نزل بلغة قريش ، وهذيل وتيم ، والأزد ، وربيعة ، وهوازن ، وسعد بن بكر(٢)) .

نقد هـــذا الرأي :

استنكر هذا الرأي ابن قتيبة ، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني . أما ابن قتيبة فقد قال – ورائده في قوله – قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه »(٣) « فعلى هذا تكون اللغات السبع في بطون قريش ، وبذلك جزم أبو علي الاهوازي» (٤) .

وأما القاضي أبو بكر فقد قال ما نصه : « إن الظاهر في قوله تعـــالى : « إنا جعلناه قرآناً عربياً »(٥) أنه نزل بجميع ألسنة العرب ، ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة أو هما دون اليمن ، أو قريشاً فعليه البيان لأن اسم العربي يتناول الجميع تناولاً واحداً ، ولو ساغت هذه الدعوة لساغ لآخر أن يقول : نزل بلسان بني هاشم مثلاً لأنهم أقرب نسباً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من سائر قريش» (٦) .

---

(١) مباحث في علوم القرآن ص ١٣٧ .
(٢) لطائف الاشارات ورقة ٩ مخطوط .
(٣) ابراهيم : ٤ .
(٤) لطائف الاشارات ورقة ٩ .
(٥) الزخرف : ٣ .
(٦) لطائف الاشارات ورقة ٩ .

٤ – رأي أبي شامة :

نقل العلامة أبو شامة عن بعضهم أنه نزل أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء . ثم أبيح للعرب أن تقرأه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب . ويدل على ما قاله ما ثبت أن ورود التخفيف كان بعد الهجرة كما في حديث أبي بن كعب أن جبريل لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند « أضاة(١) » بني غفار ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف ، فقال : اسأل الله معافاته ، ومغفرته ، فإن أمتي لا تطيق ذلك)(٢) .

٥ – رأي الرازي :

يذهب الإمام أبو الفضل الرازي في كتابه « اللوائح » إلى أن الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف :

الأول : اختلاف الأسماء من أفراد ، وتثنية ، وجمع ، وتذكير وتأنيث .

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ، ومضارع ، وأمر .

الثالث : اختلاف وجوه الأعراب .

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير .

السادس : الاختلاف بالإبدال .

السابع : اختلاف اللغات(٣) .

وهذا الرأي يختاره اثنان من المحدثين . أما أحدهما فهو الشيخ الزرقاني

---

(١) أضاة بني غفار بفتح الهمزة ، والضاد المعجمة ، وآخره تاء تأنيث موضع بالمدينة المنورة نسب لبني غفار بكسر المعجمة .

(٢) لطائف الاشارات ورقة ٩ .

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن : ص ١٤٨ : للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني مطبعة الحلبي ، ط ثالثة .

حيث يقول : « والذي نختاره بنور الله وتوفيقه من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في « اللوائح »(١)) .

وأما ثانيهما فهو الدكتور صبحي الصالح ، فإنه يختار رأي الرازي مع التعديل فيه ، وهذا التعديل يتمثل في « الاختلاف في الحروف نحو يعلمون ، وتعلمون . . ثم نقد اختلاف تصريف الأفعال من ماض ، ومضارع ، وأمر في جعلها وجهاً خاصاً قائماً برأسه مع أنه يندرج تحت وجه الاختلاف في الإعراب)(٢) .

رأي ومناقشة :

إذا نظرنا إلى هذه الآراء – التي عرضنا طرفاً منها – لا نخرج بحقيقة تريح النفس في هذا الموضوع ، فلكل رأي أدلته ، والأدلة إذا اختلفت ، والآراء إذا تناقضت عز على الباحث في مجالها أن يطمئن إلى رأي أو يركن إلى دليل .

والواقع أنه لا داعي لهذه الاختلافات ، فالحديث معناه واضح لا يحتاج إلى تأويل أو تخريج. ذلك لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يبينّ لنا أن القرآن الكريم نزل بلهجات عديدة من لهجات العرب ليتيح للعرب جميعاً أن يتدبروا معانيه ، ويكثروا من التلاوة فيه ، فنزل بهذه اللهجات للتيسير والتسهيل . وإن كان معظمه بلغة قريش ، لأن قريشاً – كما بينت – قد نهضت لغتها وأصبحت اللغة السائدة في المواسم ، والأسواق ، وعلية القوم من الفصحاء الذين لم ينتموا إلى قريش كانوا يتخذون لغة قريش في الأدب والشعر ، ولغة الخطابة والبيان«وليؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة ، ويترك سامعيه مشدوهين معجبين بقوله ولباقته كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات الخاصة التي تتصل بلهجة من اللهجات وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها ،

---

(١) المرجع نفسه والصفحة .

(٢) مباحث في علوم القرآن ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ .

وألفوها جميعاً ، كذلك كان لا بد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة ، أو عجعجة ، أو كشكشة لينال إعجاب سامعيه ، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم ، وإلاّ فكيف كان من الممكن أن يُفضِّل شاعر على شاعر في تلك المناظرات ، إذا كان المقياس مختلفاً ، وأداة القول متباينة .

لهذا توحدت القبائل في لغة أدبية ممتازة ، مختارة الألفاظ ، يعمد إليها الشاعر ، والخطيب كلما عن له القول ، وتلك كانت اللغة النموذجية»(١). وحتى لا يكون القرآن الكريم وقفا على الخاصة من القبائل العربية الذين يجيدون لغة قريش نزل بعض لهجات القبائل الأخرى بجانب لهجة قريش ، ليكون الانتفاع به أكمل ، والهداية به أشمل .

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يختارون من القراءات التي سمعوها ما وافق لهجتهم ، ومن هنا كانت القراءات مرجعها الرواية والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء ، ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنّبها الفصحاء كالكشكشة(٢) في ربيعه ومضر ، والعنعنة(٣) في لغة قيس وتميم ، والفحفحة(٤) في لغة هذيل (٥) الخ . . . .

ولعل معترضاً يقول : كيف تقول ذلك : وقد وردت في القرآن قراءة ابن مسعود « عتى حين »(٦) ؟

وللإجابة عن هذا الاعتراض أقول : إن ابن مسعود لعله سمع من النبي صلى الله عليه وسلم هذه القراءة في هذه الآية فحسب بدليل أن هذه القراءة لم تكن في غير سورة « يوسف » مع تكرر حتى حين في غيرها .

---

(١) اللهجات العربية ص ٢٧ ، ص ٢٨ .
(٢) الكشكشة : يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شيناً فيقولون : رأيتكش وعليكش .
(٣) العنعنة : يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا .
(٤) الفحفحة : يجعلون الحاء عينا .
(٥) انظر : المزهر – جـ ١ ص ٢٢٢ ، مطبعة الحلبي ط ثالثة .
(٦) يوسف : ٣٥ .

وهذا يدل دلالة واضحة على التقيد بالقراءة المسموعة فحسب ، ولو كان هناك إطلاق لقراءة على حسب ما يدعي بعض المحدثين لقرئت حتى : عتى في كل آية توجد فيها . هذه ناحية .

وناحية أخرى ، قد يحتملها الموقف وهي أن ابن مسعود غلب عليه لسانه الهذلي فقرأها كما قرأ من غير أن يسمعها ، فنبهه عمر إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لا بلغة هذيل ، ومعنى ذلك أن عمر أراد أن يسد باب القراءة الواسع باللغات المختلفة من غير أن تكون هناك روايات تسند إلى النبي عليه السلام في ذلك .

وأردت أن أتحقق من هذلية ابن مسعود لأن ابن مسعود كان من السابقين في الإسلام بمكة ، فخيل إلى أنه قرشي ، وإذا كان كذلك فمن العجب أن يقرأ « عتى حين » — فرجعت إلى « أسد الغابة » فوضعت يدي على الحقيقة التي تنص على أن ابن مسعود هذلي من قبل أبيه ، ومن قبل أمه أيضاً .

يقول ابن الأثير هو (عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب . . . إلى أن قال : ابن تميم بن سعد بن هذيل . . . وأمه : أم عبد بنت عبدود بن سواء من هذيل أيضاً (١) .

فالقراءات إذاً ليس مصدرها هذه اللهجات العديدة ، وإنما مصدرها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم .

لهذا فإننا ننكر رأي من قال : أن القراءات ليست من الوحي ، فهو رأى مرفوض ومردود .

ونص صاحب الرأي على إن : القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ، ولا مغتمزاً في دينه ، وإنما

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص : ٢٥٦ لأبي الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري المعروف بابن الأثير ط سنة ١٢٨٦ هـ .

هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها . للناس أن يجادلوا فيهـــا ، وأن ينكروا بعضها . وقد حاولوا فيها بالفعل وتماروا ، وخطأ فيها بعضهم بعضاً ، ولم نعلم أن أحداً من المسلمين كفر أحـــداً لشيء من هذا ، وليست هـــذه القراءات بالأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن(١) .

لست أدري ما الذي حمـــــل هذا الكاتب أن يلقى هذا الكلام على عواهنه ؟ إن كل كلمة في هذا النص تحمل دليل زيفها ، وحجة بطلانها ، ولو فكر قليلاً لما تجرأ أن يصدر هذا الحكم قبل أن يلم بما قيل في هذه القضية وقد تكلم الباحثون قبله في القراءات ، واختلفوا ، وتباينت آراؤهم ، ولكن أحداً منهم لم يقل مثل هذا القول ،نعم حدث من ابن مقسم وابن شنبوذ — كما سنبينه بعد — أن أصدرا آراء في القراءات كانت لهما فيها وجهات نظر ، ومع ذلك عذباً حتى رجعا عن آرائهما .

ويميل أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن القراءات ترجع إلى اختلاف القبائل بيد أنه كان محترساً كل الاحتراس في كل كلمة قالها حتى لا يمس الحقيقة المستقرة في الأذهان التي تنص على أن القراءات مـــرجعها الـــوحي لا اللغــــات .

يقول الدكتور أنيس « فالمسلم أيا كانت لهجته ، وأيا كانت بيئته ، وأيا كانت تلك الصفات الكلامية التي نشأ عليها ، وتعودها ، ولم يقدر إلا عليها يستطيع أن يقرأ القرآن بالقدر الذي تعودته عضلات صوته في نطقـــه بلهجته أو لغته ، ويجب ألا ننكر عليه ، أو أن نهزأ من قراءته ، فقد حاول ، وبذل الجهد ، فله أجر اجتهاده » (٢) .

وإني أختلف مع أستاذنا في هذا الرأي ، فلو سلمنا بما قال : لتعددت القراءات من قبيلة إلى قبيلة ، بل من فرد إلى فرد فقد ينطق الفرد متأثراً بقبيلته

(١) في الأدب الجاهلي ص : ٩٥ الدكتور طه حسين . ط دار المعارف بمصر .
(٢) اللهجات العربية ص : ٣٧ ، ٣٨ .

في مخارج الحروف وغيرها من المظاهر اللغوية الأخرى ، وقد يكون لهذا الفرد عيوب خاصة في نطقه كالثغة « التي تعرض للسين تكون ثاء ، كقولهم لأبي يكسوم : أبي يكثوم ، وكما يقولون بثرة ، إذا أرادوا بسرة ، وبثم الله إذا أرادوا بسم الله . . . .

وكاللثغة التي تقع في الراء فإن عددها يضعّف على عدد لثغة اللام : فمنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو : قال : عمى ، فيجعل الراء ياء ، ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو : قال عمذ ، فيجعل الراء ذالاً » (١) .

أقول : إن هذه اللثغة المعيبة قد تكون على رأي الدكتور أنيس قراءات فضلاً عن أنه — كما قدمت — لكل قبيلة عيوب خاصة تتنافى مع الفصاحة ، فتصبح هذه العيوب قراءات ، وبذلك تضرب الفوضى أطنابها في قراءات القرآن مما يؤدي إلى اختلاط الأمر بين القراءات الصحيحة ، وغيرها من القراءات الأخرى التي قد تشتمل على العيوب العامة لكل قبيلة ، أو العيوب الخاصة في بعض الأفراد .

وثمة دليل آخر ، يؤيد ما ذهبت إليه من أن القراءات ليس مرجعها اللغات المختلفة للقبائل على الإطلاق من غير أن تقيد بالسنة أو الرواية ، إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان كما بينت سابقاً وكلاهما قرشي ، فبم نفسّر هذا ؟ هل اختلفت قريش ، وهي قبيلة واحدة في قراءتها ؟ .

أكبر الظن أن المقاييس اللغوية الحديثة لا تثبت أمام هذه الحقيقة ، حقيقة تغاير القبيلة الواحدة في نطقها لبعض الكلمات .

وإنما مرجع ذلك إلى أن أحدهما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قراءة بعض آيات من سورة « الفرقان » بلهجة ما ، وسمعها الثاني بلهجة

---

(١) البيان والتبيين ص : ٣٤ ، ٣٥ بتصرف للجاحظ : تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون ط ثانية مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

أخرى ، فأخذ كل منهما بالقراءة التي سمعها ، وهذا لا يتنافى في أنهما قرآ بغير لهجتهما ، لأن القرآن الكريم لم تنزل كل كلمة فيه بلهجات عديدة ، وإنما نزل بعض آياته ببعض اللهجات فحفظها الصحابة كما سمعت بغض النظر عن تلاقيها مع لهجتهم أو عدم تلاقيها .

ويؤيد ما ذهبت إليه أيضاً ما يقرره الرافعي من أن القراءات ترجع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعهد أصحابه فيقول : « يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضي الله عنهم ، فقد اشتهر بالاقراء منهم سبعة : عثمان ، وعلي ، وأبي ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري ، وعنهم أخذ كثير من الصحابة ، والتابعين في الأمصار ، وكلهم يسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

وفي إشارة ابن حجر في كتابه » فتح الباري » تأكيد لهذه الحقيقة التي ذهبت إليها ، فقد نقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال : « أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ، ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم استعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة .

قال ابن حجر : وتتمة ذلك أن يقال : إن الاباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعي في ذلك السماع من النبي صلى الله عليه وسلم(٢) .

أما الناحية العددية في الحديث فاني أوافق أستاذنا الدكتور على أن المراد مجرد التعدد ، وليس المراد قصر الأحرف على العدد سبعة ، وذلك « لأن

---

(١) إعجاز القرآن ، والبلاغة النبوية ص : ٥١ مصطفى صادق الرافعي مطبعة الاستقامة ط سادسة .

(٢) فتح البارى ص ٢٢ جـ ٩ لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني . المطبعة البهية سنة ١٣٤٨ هـ بمصر .

العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب العربية»(١) .

٢ – أمثلة تؤيد أن نشأة القراءات أساسها اللهجات أو اللغات التي نزل بها القـــرآن الكـــريم :

(أ) قراءات بلغة هذيـــل :

١ – « ثلاثُ عوْرات لكم »(٢) .

قال السيوطي في موضع اتباع العين لحركة الفاء : « فإن كان حرف العلة غير مجانس للحركة – نحو : جوزة ، وبيضة ، فجمهور العرب على التسكين ولغة هذيل الاتباع ، قرأ بعضهم «ثلاث عوَرات لكم»بالتحريك(٣).

٢ – « فلإمه الثلث »(٤) .

قال أبو حيان : « وذكر سيبويه أن كسر الهمزة من (أم)بعد اليـــاء والكسر لغة . وذكر الكسائي والفراء أنها لغة هوازن وهذيل»(٥) .

٣ – « يا بشراي هذا غلام »(٦) .

قال أبو حيان : «قرأ أبو الطفيل ، والحسن بن أبي اسحاق ، والجحدري « يا بشرىّ » بقلب الألف ياء ، وإدغامها في ياء الاضافة وهي لغة هذيـــل ولناس غيرهم» (٧) .

٤ – « فظلوا فيه يعرجون »(٨) .

قال أبو حيان : « قرأ الأعمش ، وأبو حيوة : « يعرجون » بكسر الراء ، وهي لغة هـــذيل» (٩) .

---

(١) اللهجات العربية ص : ٣٩ .
(٢) بفتح الواو ، سورة النور آية : ٥٨ .
(٣) همع الهوامع جـ ١ ص : ٢٣ بتصرف .
(٤) بكسر الهمزة سورة النساء آية : ١١ .
(٥) البحر المحيط جـ ٣ ص : ١٨٤ ، ١٨٥ .
(٦) سورة يوسف آية : ١٩ .
(٧) البحر المحيط جـ ٥ ص : ٢٩٠ .
(٨) سورة الحجر آية : ١٤ .
(٩) البحر : جـ ٥ ص : ٤٢٨ .

٥ — « فمن تبعَ هدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هُمْ يحزنون »(١) .

قال أبو حيان : « وقرأ عاصم الجحدريّ ، وعبدالله بن أبي إسحاق ، وعيسى بن عمر : « هُدَيَّ » بقلب الألف ياء ، وإدغامها في ياء المتكلم إذا لم يمكن كسر ما قبل الياء ، لأنه حرف لا يقبل الحركة وهي لغة هذيل ، يقلبون ألف المقصور ياء ، ويدغمونها في ياء المتكلم . وقال شاعرهم :

سبقوا هوَيَّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا(٢) ، ولكل جنب مصرع (٣)

٦ — « يوم يأتِ »(٤) .

قال الزمخشري في الكشاف : « يوم يأت، بغير ياء، ونحو قولهم : لا أدر ، حكاه الخليل وسيبويه ، وحذف الياء ، والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل» (٥) .

(ب) قراءات وردت بلغة تميم :

١ — « الحمدِ لله(٦) » بكسر االدال بدلاً من ضمها ، بشهادة النحوي المصري النحاس المتوفى ٣٣٨هـ كانت صيغة « الحمد لله على هذا النحو خاصة بلهجة تميم (٧) .

٢ — في الضمير أنا

قال الهمع : (وفي الألف لغات — يقصد ألف أنا — إثباتها وصلاً ووقفاً ، وهي لغة تميم ، وبها قرأ نافع)(٨) .

---

(١) سورة البقرة آية : ٣٨ .
(٢) البيت لأبي ذويب الهلالي : اعنقوا = بادروا . تخرموا = استؤصلوا انظر شرح ابن عقيل : جـ ٢ ص : ٦٤ تحقيق محيى الدين المطبعة الرحمانية .
(٣) البحر المحيط جـ ١ ص : ١٦٩ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١٥٨ .
(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ ٢ ص : ٣٣٥ .
(٦) سورة الفاتحة آية : ١ .
(٧) العربية : ص : ٣٢ يوهان فك .
(٨) الهمع جـ ١ ص : ٦٠ .

(ج) قراءات وردت بلغة قيس وأسد :

قال السيوطي في الهمع : « وقد تسكن هاء هو وهي بعد الواو والفاء وثم واللام ، وقرىء بذلك في السبع ، » وهو معكم »(١) ، « فهْو وليّهم »(٢) ثم قال السيوطي : بعد ذلك : وتسكين الواو والياء لغة قيس وأسد» (٣) .

(د) لغات قبائل أخــــرى :

« إنْ هذان لساحران »(٤) .

قال الجاربردي : « ذكر الواحدي في الوسيط في تفسير قوله تعالى : « قالوا إن هذان لساحران » أنه قال ابن عباس : هي لغة بلحارث بن كعب ثم قال : إجماع النحويين على أن هذه لغة حارثية ، وذلك أن بلحارث بن كعب وخثعماً وزبيداً وقبائل من اليمن يجعلون ألــف الاثنين في الرفــع والنصب والخفض على لفظ واحد» (٥) .

وقال ابن جماعة : « نسبها إلى بنى الحارث من النحويين الكســائي ونسبها أيضاً إلى خثعم ، وزبيد ، وهمدان ، ونسبها أبو خطاب لكنانــة وبعضهم لبنى العنبر وعذرة ، ومراد ، وغيرهم »(٦) .

(ﻫ) لغات متــداخلة :

« ويُهْلك الحرث والنسل »(٧) .

قال العكبري : « يقرأ برفع الكاف أي وهو يهلك ، ويقرأ بفتــح الياء واللام ، ورفع الحرث وهي لغة ضعيفة ، لأن الماضي هلك بفتح الام ، فيكون المستقبل مكسور اللام .

---

(١) سورة الحديد آية : ٤ .
(٢) سورة النحل آية : ٦٣ .
(٣) الهمع جـ ١ ص : ٦١ .
(٤) بسكون النون ، سورة طه آية : ٦٣ .
(٥) شرح الجاربردي على الشافية جـ ١ ص : ٢٧٧ .
(٦) حاشية ابن جماعة على شرح الشافية جـ ١ ص : ٢٧٧ .
(٧) سورة البقرة آية : ٢٠٥ .

ومن فتح اللام في المستقبل جاز أن يكون هلك بكسر اللام ، وهي لغة مجهولة أو يكون لغتين من قبيلتين تداخلتا)(١) .

(و) لغات غـــير منسوبة :

١ – « حجرًا محجورًا »(٢) .

قال ابن السّكيت : « حجر الإنسان وحجـــره ، ويقرأ « حِجرًا محجورا » . وحَجرًا محجورًا »(٣) .

٢ – « حتى يبلغ الهَدْيُ محلّهُ »(٤) .

قال ابن السكيت : « الهدى لغتان بالتشديد والتخفيف ، وقرأ بهمـــا جميعاً القراء : حتى يبلغ الهَدْيُ محله ، والهِديُّ محله)(٥) .

٣ – « حرَج ، وحرِج » :

قال ابن السكيت : (وبكل قرأت القراء « يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً » ، وحرِجاً)(٦) .

٤ – « إن يمسسكم قرح »(٧) .

قال ابن خالويه : « يقرأ بفتح القاف وضمها ، فالحجة لمن فتح أنه أراد الجراح بأعيانها ، والحجة لمن ضم أنه أراد ألم الجراح ، وقيل همـــا لغتـــان فصيحتان كالجَهد والجُهـــــد)(٨) .

---

(١) إعراب القراءات الشواذ : لوحة ٣١ لمحب الدين أبي البقاء العكبري مخطوط مصور رقم ١١٩٩ – تفسير – دار الكتب .

(٢) سورة الفرقان آية : ٢٢ .

(٣) بفتح الحاء وكسرها ، اصلاح المنطق لابن السكيت ص : ٣١ أبو يوسف يعقوب بن اسحاق تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون مطبعة دار المعارف ط ثانية .

(٤) سورة البقرة آية ١٩٦ .

(٥) بسكون الدال مع ضم الياء ثم بكسر الدال مع الضم والتشديـــد لليـــاء ، اصلاح المنطـــق ص : ٢٧٥ .

(٦) سورة الأنعـــام آية : ١٢٥ ، اصلاح المنطق ص : ١٠٠ .

(٧) سورة آل عمران آية : ١٤٠ .

(٨) الحجة لابن خالوية ورقة ٢٧ مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب دار الكتب .

٥ — « الرعب »(١) .

قال ابن خالويه : « يقرأ بإسكان العين وضمها ، فالحجة لمن أسكن أن الأصل الضم ، فثقل عليه الجمع بين ضمتين متواليتين ، فأسكن ، والحجة لمن ضم أن الأصل عنده الإسكان فأتبع الضم الضم ليكون اللفظ في موضع واحد ، كما قرأ عيسى بن عمر : « تبارك الذي بيده الملك(٢) » بضمتين ، وكيف كان الأصل ، فهما لغتان »(٣) .

٦ — « ولا يحزنك(٤) » .

قال ابن خاويه : «يقرأ بفتح الياء ، وضم الزاي ، وبضم الياء ، وكسر الزاي ، فالحجة لمن فتح الياء أنه أخذه من حَزَن يحزن حزناً ، والحجة لمن ضم الياء أنه أخذه من أحزن يحزن وحزناً ، ولم يسمع إحزاناً ، وان كان القياس يوجبه »(٥) .

٧ — « من يرتدّ منكم »(٦) .

قال ابن خالوية : « يقرأ بالإدغام والفتح ، وبالإظهار ، والجزم ، فالحجة لمن أدغم أنه لغة أهل الحجاز ، لأنهم يدغمون الأفعال لثقلها كقوله تعالى : « إنما نعدّ لهم عدًّا »(٧) ويظهرون الأسماء لخفتها كقوله « عَددَ سنين »(٨) ليفرقوا بذلك الاسم والفعل. والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلام على أهله ، ورغب لمع موافقة النغة في الثواب إذ كان له بكل حرف عشر حسنات »(٩) .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٥١ .
(٢) سورة الملك آية : ١ .
(٣) الحجة لابن خالوية : ورقة : ٢٧ .
(٤) سورة آل عمران آية : ١٧٦ .
(٥) الحجة لابن خالوية ورقة : ٢٨ .
(٦) سورة المائدة آية : ٥٤ .
(٧) سورة مريم آية : ٨٤ .
(٨) سورة المؤمنين آية : ١١٢ .
(٩) الحجة لابن خالويه ورقة : ٣٧ .

٨ — « وإن يروْا سبيل الرشد »(١) .

قال ابن خالوية : (يقرأ بضم الراء وإسكان الشين، وبفتحهما: وقيل هما لغتان كقولهم : السُّقْم والسَّقَم)(٢) .

٩ — « وعلم أن فيكم ضعفاً »(٣) .

قال ابن خالوية : (يقرأ بضم الضاد وفتحها ، وهما لغتان)(٤) .

١٠ — غمض يغَمض لغة في أغمض ، وقرأ البراء بن عازب رضي الله عنه والحسن : « الا أن تَغمضوا(٥) فيه »)(٦) .

١١ — وقال الصاغاني: (البخل لغة في البَخْل، والبُخْل، والبَخَل، وقرأ أبو رجاء : « بالبَخَل »)(٧) ، (٨) .

١٢ — طيبى لغة في طوبى : وقرأ مكـــوزة الأعـــرابى « طيبى(٩) لهـــــم »(١٠) .

١٣ — (الرعاء لغة في الرعاء وقرأ الخليل «حتى يصدر(١١) الرُّعاء » بضم الراء مع التشديد(١٢) .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦ .
(٢) الحجة لابن خالويه ورقة : ٥٣ .
(٣) سورة الأنفـــال آية : ٦٦ .
(٤) الحجة لابن خالوية ورقة : ٥٨ .
(٥) بفتح التاء ، سورة البقرة آية : ٢٦٧ .
(٦) ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص : ٥ للصاغاني مخطوط رقم ٤١٨ لغة — دار الكتب .
(٧) سورة النساء آية : ٣٧ .
(٨) البخل « يضم الباء وسكون الخاء » لغة في البخل « بفتح الباء وسكون الخاء » وكذلك البخل « بضم الباء وسكون الخاء » لغة في البخل « بفتح الباء والخاء » والقراءة « بفتح الباء مع سكون الخاء وكسر اللام » — ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص : ٧ .
(٩) سورة الرعد آية : ٢٩ .
(١٠) ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص : ١١ .
(١١) سورة القصص آية : ٢٣ .
(١٢) ما تفرد به بعض أئمة اللغة ص : ١٣ ، ١٤ .

٤ — رسم المصحف العثماني ، والأحرف السبعة :

تؤكد لنا الروايات العديدة أنه بجانب المصحف العثماني كان لأكابر الصحابة مصاحف أخرى كمصحف علي ، ومصحف عائشة ، ومصحف أبيّ ، ومصحف ابن مسعود .

وليس هناك أدنى شك في أن هذه المصاحف المتعددة لم تكن على قراءة واحدة ، ذلك لأن الصحابى قد يسمع قراءة بلهجة تميم مثلاً فيكتبها على حين يسمع غيره قراءة بلهجة قريش أو هذيل فيكتبها أيضاً ، ومن هنا تعددت القراءات وكثرت .

ولما انتشر الإسلام في أصقاع الأرض ، وسار ركبه في أجزاء المعمورة كان الصحابة يقرءون القرآن في هذه البلاد التي فتحت ، على حسب ما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم :

فمن الطبيعي إذاً أن ينشأ خلاف بين القراء ، ومن الطبيعي أيضاً أن تتسع هوة الخلاف بين الصحابة في القراءات ، فينكر بعضهم قراءة بعض . يدل على ذلك فزع حذيفة بن اليمان إلى عثمان ، ليقول له :

« يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب ، كما اختلف اليهود والنصارى ، فبعث عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها عليك ، فأرسلتها إليه ، فأمر عثمان زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، أن ينسخوا الصحف في المصاحف »(١) .

فلما تم النقل ، وكمل النسخ « بعث عثمان إلى كل أفق مصحفاً من تلك المصاحف التي نسخوها ، وأمر بما سواه من القرآن ، في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق »(٢) .

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص : ١٨ ، ١٩ .

(٢) المرجع السابق .

وهنا يرد إلى أذهاننا هذا السؤال : هل كتب عثمـــان رضي الله عنه المصاحف بلغات العرب التي أنزل بها ؟

بعض الروايات التي سجلتها كتب التاريخ ، لا تثبت ذلك ، بل تنفيه ، وتؤكد أن القرآن الكريم كتب بلهجة قريش ، وتستند هذه الروايات إلى قول عثمان رضي الله عنه للرهط القرشيين الذين وكل إليهم مع زيد بن ثابت كتابة المصحف : « إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا »(١) .

فإذا كان مؤدي نص عثمان رضي الله عنه أن القرآن الكريم كتب جميعه بلهجة قريش ، وغض النظر عن اللهجات الأخرى التي نزل بها ، والتي يشير إليها حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف — فإننا نقع في مشكلة تحتاج إلى حل ، وتتمثل هذه المشكلة في نشأة القراءات مع هذا المصحف العثماني .

أريد أن أقول : إذا كان القرآن كتب بلهجة واحدة هي لهجة قريش ، فكيف إذاً نفسر نشأة القراءات مع هذا المصحف ؟ في رأيي أن المصحف لم يكتب بلهجة قريش وحدها ، فالنفر الذين كتبوا المصحف نسخوه مـــن الصحف التي أحضرها عثمان رضي الله عنه من حفصة ولم يترك للكتاب الحرية في أن يسجلوا من حفظهم شيئاً — مع أنهم كانوا حفظة — مخافة أن تفتـــح أبواب القيل والقال ، فيقال مثلاً : إن عثمان كتب في مصحفه ما لم يكن في صحف أبي بكر أو مصحفه ، فلقتل هذه الشبهة في مهدها ، والقضاء عليها اعتمد على مصحف أبي بكر ، ومصحف أبي بكر جمع قراءات النبي صلى الله عليه وسلم في العرضة الأخيرة ، وكان زيد بن ثابت كاتباً لهذه العرضة .

من أجل ذلك يصح لي أن أقول : إن مصحف عثمان رضي الله عنـــه مشتمل على الأحرف السبعة .

أما أمر عثمان بالكتابة بلغة قريش فلم يكن المقصود منه كتابة المصحف جميعاً بهذه اللهجة ، لأن نص حديث عثمان لا يساعد على هذا الفهم ، فهـــو

---

(١) الاتقان جـ ١ ص : ٥٩ .

يقول : إذا اختلفتم فاكتبوه بلغة قريش ، ومواضع الاختلاف كانت قليلة كاختلافهم في التابوت .

« فقال زيد : هو التابوه ، وقال النفر القرشيون : هو التابوت فرفع الأمر إلى عثمان فقال : اكتبوه بلسان قريش ، فإن القرآن نزل بلسانهم »(١) .

وواضح أنهم إذا لم يختلفوا ينسخونه كما هو دون زيادة أو نقصان — هذا هو مفهوم كلمة عثمان رضي الله عنه .

من هذا العرض نخرج بهذه الحقيقة ، وهي أن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة .

وأقصد بالأحرف السبعة القراءات التي قرأها النبي عليه السلام في العرضة الأخيرة ، والتي استقرت بها قراءات القرآن .

أما حرف أبيّ ، وابن مسعود ، وغيرهم من أصحاب المصاحف ، فلم يشتمل عليها مصحف عثمان ، ومن هنا كانت القراءات من هذه المصاحف شاذة كما سنبين بعد إن شاء الله .

وقد قال صاحب « الطراز » : « إن الحرف الواحد كلما كان أكثر استفاضة كان أحق بالقبول ، ولأجل ذلك اتفقوا على حرف زيد »(٢) .

تجريد مصاحف عثمان من النقط والشكل :

ويبيِّن ابن الجزري أن المصاحف التي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار « جردت جميعها من النقط والشكل ، ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته » (٣) ومعنى ذلك أن قراء الأمصار يقرءون بما سمعوا ، و بما رووا ، متخذين مصحف عثمان مصدراً يرجعون إليه عند الاختلاف ، ولا بد

---

(١) الزينة جـ ١ ص ١٤٦ .
(٢) الطراز جـ ٣ ص ٤٦٣ .
(٣) النشر ص ٧ .

أن تكون قراءاتهم متفقة مع رسم المصحف ، ونعني بهذا أن رسم المصحف العثماني شرط في صحة هذه القراءات .

وبهذا الشرط أسقطت القراءات التي تخالف الرسم العثماني .

ونحن إذا نظرنا إلى هذا العمل الضخم الذي قام به عثمان رضي الله عنه نجد أنه صان القرآن الكريم من تحريف كان من الممكن أن يستبد به ، ومن تغيير كان من الممكن أن يتسرب إلى بنائه ، ولكن تصديقاً لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(١) جند عثمان لهذا العمل ليظل القرآن الكريم ، في مأمن من عبث العابثين ، وعجمة المستعربين .

وظل عثمان على موقفه من هذا الرسم إلى أن لحق بربه .

مشكلة تحتاج إلى حل :

خلاصة هذه المشكلة أن ابن أبي داود في كتابة « المصاحف » أشار إلى أن عثمان رضي الله عنه تخلى عن تمسكه برسمه ، وأطلق القراءة وهذا يختلف مع الحقيقة القائلة أن الرسم العثماني ظل ماثلاً إلى اليوم لا يمس ، وأن القراءات التي لا يحتملها رسمه قراءات شاذة . ولما رجعت إلى كتاب « المصاحف » رأيت ابن أبي داود يعنون لهذه الفكره بهذا العنوان « إطلاق عثمان رضي الله عنه القراءة على غير مصحفه »وتحت هذا العنوان قال ما نصه: «لما نزل أهل مصر الجحفة يعاتبون عثمان رضي الله عنه ، صعد عثمان المنبر ، فقال : جزاكم الله يا أصحاب محمد عني شراً ، أذعتم السيئة ، وكتمتم الحسنة ، وأغريتم بي سفهاء الناس . أيكم يأتي هؤلاء القوم فيسألهم ما الذي نقموا ؟ وما الذي يريدون ؟ ثلاث مرات ، لا يجيبه أحد ، فقام علي رضي الله عنه ، فقال : أنا . قال عثمان : أنت أقربهم رحماً ، وأحقهم بذلك ، فأتاهم ، فرحبوا به وقالوا : ما كان يأتينا أحد أحب إلينا منك ، فقال : ما الذي نقمتم ؟

---

(١) الحجر : ٩ .

قالوا : نقمنا أنه محا كتاب الله عز وجل ، وحمى الحمى ، واستعمل أقرباءه وأعطى مروان مائتي ألف ، وتناول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فرد عليهم عثمان رضي الله عنه . أما القرآن فمن عند الله ، إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف ، فاقرؤوا على أي حرف شئتم »(١) .

فهذا النص يدل ظاهرة على أن عثمان رضي الله عنه أطلق القراءة ولإزالة التناقض بين هذه الرواية ، وبين الروايات الأخرى التي ثبت أن عثمان جمع الناس على مصحفه ، وحذر من مخالفته ، وحرق ما يوجد من المصاحف الأخرى .

أقول لإزالة هذا التناقض أردت أن أتحقق من رواية ابن أبي داود فرأيت أن بعض كتب التاريخ تختلف في هذه الرواية مع رواية ابن أبي داود ؛ فقد نقل المرحوم الشيخ الخضري عن المراجع التاريخية أن عثمان رضي الله عنه قال للثائرين ما نصه : وقالوا : حميت حمى ، وإني والله ما حميت حمى قبلي ، والله ما حموا شيئاً لأحد ، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ، ثم لم يمنعوا من رعيه أحدا . . إلى أن قال : ومالي من بعير غير راحلتين ، ومالي من ثاغية ، ولا راعية ، وإني قد وليت ، وإني أكثر العرب بعيرًا أو شاة فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجتي ، أكذلك هو ؟ قالوا : اللهم نعم . وقالوا : كان القرآن كتبا فتركتها إلا واحداً ، ألا وإن القرآن واحد ، جاء من عند واحد ، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء ، أكذلك هو ، قالوا : نعم(٢) .

ففي هذه الرواية بين عثمان رضي الله عنه أنه لم يحدث في المصحف شيئاً جديداً وإنما سار على سنة أبي بكر وعمر في الحيطة له ، وفي صيانته من الاختلاف الذي قد يؤدي إلى النزاع بين المسلمين ، فيكون مصيرهم مصير اليهود والنصارى حينما اختلفوا في كتبهم ، وليس في هذه الرواية ما يدل على أنه أطلق القراءة ، هذا دليل .

---

(١) المصاحف ص ٣٦ .

(١) محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ٣٩ ، المرحوم الشيخ محمد الخضري .

ودليل آخر ، يتضح في أنه لو صحت رواية ابن أبي داود لما كان هناك تناف بين ما قررته من تمسك عثمان برسمه ، وبين هذه الرواية . وبيان ذلك أن رواية ابن أبي داود لا تنص على اطلاق القراءة بما يخالف الرسم ، فأطلق لهم حرية القراءة بما رووا ، ولكن على شريطة أن تخضع لرسم المصحف ، هذا هو مفهوم كلمة عثمان في هذا المقام وكأنه يريد أن يقول لهم : اقرءوا ما شئتم كما رويتم وسمعتم ، فادعاؤكم أني ألغيت القراءات ، ادعاء لم يصح ، لأني وضعت للقراءات ميزاناً لا يسمح للقراءات الدخيلة أن تتسرب إلى كتاب الله ، وهو الرسم الذي تحتمله القراءات المروية .

ودليل ثالث : يتجلى في أن عثمان رضي الله عنه كتب المصحف في سنة خمس وعشرين في السنة الثالثة أو الثانية من خلافته وأترك المقام لابن حجر ليحقق لنا متى كتب المصحف العثماني ؟ لأنه على ضوء هذا التحقيق نستطيع أن نزيل إبهام رواية ابن أبي داود أو نحل أشكالها .

قال ابن حجر « خطب عثمان فقال : يأيها الناس ، إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة ، وقد اختلفتم في القراءة . . . (حديث جمع القرآن في المصحف العثماني) ثم قال ابن حجر : وكانت خلافة عثمان رضي الله عنه بعد مقتل عمر ، وكان قتل عمر في أواخر ذي الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة إلا ثلاثة أشهر ، فإن كان قوله خمس عشرة سنة أي كاملة ، فيكون ذلك بعد مضي سنتين وثلاثة أشهر من خلافته . .

ثم قال ابن حجر : وغفل بعض من أدركناه فزعم أن ذلك كان في حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستندا »(١) .

فكتابة عثمان رضي الله عنه للمصحف كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة تقريباً وثورة الأمصار على عثمان رضي الله عنه كانت قبيل قتله ،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري جـ ٩ ص ١٤ للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المطبعة البهية سنة ١٣٤٨ هـ .

ومن المعلوم أنه قتل رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ(١) ، فبين كتابة المصحف وقتله عشر سنوات تقريباً ، وهي مدة ليست قصيرة في توطيد الرسم العثماني في نفوس القراء ، وعلى ألسنتهم ، مما يعز على هذه الألسنة أن تنحرف عن نهجه ، أو تميل إلى غيره ، أو تركن إلى سواه ، فلما علم عثمان رضي الله عنه أن الأمور استقرت ، وأن الرسم العثماني أصبح حقيقة واقعة خضع لسلطانها القراء جميعاً لم يبال بعد ذلك أن يقرءوا بأي حرف شاءوا ما دامت علة الخلاف قد زالت ، وشهوة الجدال قد انتهت ، ومن أجل هذا صح له أن يقول : « إنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف » أما وقد زال هذا الاختلاف ، وأصبح المصحف العثماني مصدراً للقراءات جميعاً التي يحتملها رسمه ، فلا مبرر إذاً للخوف ، ومن هنا قال : اقرءوا على أي حرف شئتم .

٥ — الأحرف السبعة والقراءات السبع :

ليست القراءات السبع التي دونها علماء القراءات ، وأجمعوا عليها هي الأحرف السبعة التي أشار إليها الحديث ، وإنما هي بعض هذه الأحرف .

وقد أجمعوا على هذه القراءات السبع ، لأن أصحاب الأهواء كثروا ، وأخذوا يقرءون بما لا تحل تلاوته ، تاركين المصحف الإمام ، مما يؤدي إلى اضطراب في قراءات القرآن . وخوفاً من أن يتسع الخرق على الراقع ، وتمتد يد البدعة إلى كتاب الله لتحرف فيه ، أو تزيد ، أو تنقص تجرد قوم « للاعتناء بشأن القرآن العظيم، فاختاروا في كل مصر — وُجِّهَ اليها مصحف — أئمة مشهورين بالثقة والأمانة في النقل ، وحسن الدراية ، وكمال العلم ، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء واشتهر أمرهم ، وأجمع أهل مصر على عدالتهم ، ولم تخرج قراءتهم عن خط مصحفهم »(٢) .

ومن هؤلاء الأئمة القراء السبع وهم :

« أبو عمرو بن العلاء • م ١٥٤ هـ ، وعبدالله بن كثير م ١٢٠ هـ ونافع

---

(١) تاريخ الأمم الإسلامية جـ ٢ ص ٤٢ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر : ورقة ٥ للشيخ أحمد بن محمد البنا الدمياطي ، مخطوط رقم ٧٣ قراءات ، دار الكتب .

بن نعيم م ١٦٩ هـ ، وعبدالله بن عامر اليحصبى م ١١٨ هـ ، وعاصم بن بهدلة الأسدي م ١٢٨ هـ ، وحمزة بن حبيب الزيات العجلي م ١٥٦ هـ ، وعلى بن حمزة الكسائي إمام النحاة وإمام الكوفين م ١٨٩ هـ .

وقراءات هؤلاء السبع هي المتفق عليها إجماعاً ، ولكل منهم سند في روايته ، وطريق في الرواية عنه ، وكل ذلك محفوظ مثبت في كتب هـذا العلم »(١) .

وهذه القراءات السبع التي نسبت إلى هؤلاء القراء غيض من فيض ، وإنما جمعها ابن مجاهد لاختياره الخاص ، فاشتهرت حتى ظن بعض العوام أن المراد بالأحرف السبع القراءات السبع .

قال ابن الجزري : « لا يجوز أن يكون المراد — من الأحرف السبعة — هؤلاء السبعة القراء المشهورين ، وان كان يظن بعض العوام لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ، ولا وجدوا »(٢) .

وقد اعتقد بعض الناس خطأ أن هذه القراءات السبع هي المعتبرة وما عداها شاذ ، ولست أدري كيف وصلوا إلى هذا الحكم مع أن أبا عبيد القاسم بن سلام « جعلهـم خمسة وعشرين قارئاً مـع هؤلاء السبعة ، وتوفي سنة ٢٢٤ هـ »(٣) .

وقد لمح هذا الخطأ ابن الجزري نقال : « وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذاً ، وربما كان كثير مما لم يكن في « الشاطبيـة والتيسير » وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما . وإنما أوقـع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وسمعوا قراءات السبعة ، فظنوا أن هؤلاء السبعة هي تلك المشار إليها ، ولذلك ، كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطأوه

---

(١) إعجاز القرآن للرافعي ص ٥١ .

(٢) النشر جـ ١ ص ٢٤ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٣ .

في ذلك ، وقالوا : ألا اقتصر على دون هذا العدد ، أو زاده ، أو بين مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة »(١) .

آراء العلماء في القراءات السبع :

١ – رأي الامام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي :

قال : « فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب علي نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، فذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً ، واختياراً ، فجعله عامة للناس كالغرض المحتوم حتى سمّوا ما يخالف خطأ ، أو كفراً ، وربما كان أظهر وأشهر . . ثم قال : ولقد فعل مسبع هؤلاء السبعة مالا ينبغي له أن يفعله ، وأشكل على العامة حتى جهلوا مالا يسعهم جهله ، وأوهم كل من قل نظره أن هذه هي المذكورة في الخبر النبوي ، لا غير . . . وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة »(٢) .

٢ – رأي ابن تيمية :

« لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين ، بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة ، أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما ، كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي ، فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين من أهل الإجماع . . . ثم قال : ولهذا كان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشر ، والأحد عشر كثبوت هذه السبعة يجمعون في ذلك الكتب ، ويقرءونه في الصلاة ، وخارج الصلاة ، وذلك متفق عليه بين العلماء ، لم ينكره أحد منهم(٣) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٦ .
(٢) المرجع نفسه ص ٣٦ .
(٣) النشر ج ١ ص ٣٩ .

٣ – رأي الكـــــواش :

قال : « كل ما صح سنده ، واستقام وجهه في العربية ، ووافق خط المصحف الإمام ، فهو من السبعة المنصوصة ، ومتى فقد شرط من الثلاثـة فهو من الشاذ »(١) .

٤ – رأي السبكـــــي :

قال الشيخ تقي الدين السبكـــي في شرح المنهـــاج ما نصه ، قـــال الأصحاب : « تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بالقراءات السبـــع ، ولا تجـــوز بالشاذ ، وظاهر هذا يوهم أن غير السبع المشهورة مـــن الشواذ ، وقـــد نقل البغوي الاتفاق على القراءة بقراءة يعقـــوب ، وأبي جعفر مع السبع المشهورة ، وهذا القول هو الصواب »(٢) .

٥ – رأي مكـــيّ :

قال مكي بن أبي طالب : « من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كنافـــع وعاصم هي الأحرف السبعة في الحديث ، فقد غلط غلطاً عظيماً ، قال : ويلزم من هذا أيضاً أن ما خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة غيرهم ، ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً وهذا غلط عظيم . فإن الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم السجستاني ، وأبي جعفر الطبري ، وإسماعيل القاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء »(٣) .

٦ – رأي أبي حيـــان الأندلسي :

قال : « ليس في كتاب ابن مجاهد ، ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير ، فهذا أبو عمـــرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشـــر راوياً »(٤) .

---

(١) الإتقان : جـ ١ ص ٨١ .
(٢) المرجع نفسه والصفحة .
(٣) الإتقان جـ ١ ص ٨٠ و ٨١ .
(٤) الإتقان جـ ١ ص ٨٠ .

تواتر القراءات السبع :

هل القراءات السبع متواترة ؟

مذهب الأصوليين ، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين ، والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية والعربية(١) .

رأي الزركشي :

ويرى الزركشي « أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أما تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ففيه نظر ، فإن إسنادهم بهذه القراءات السبع . موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد»(٢) .

رأي ابن الحاجب :

قال في مختصر المنتهي « إن القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الأداء كالمد ، والإمالة ، وتخفيف الهمزة ونحوها »(٣) .

ولم يسلم ابن الحاجب من النقد في هذا الرأي ، فقال ابن الجزري : « ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول ، فقص أثره ؟ فلو فكر الشيخ فيما قاله لما أقدم عليه وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه من ذكر القراءات وأثرها ، كما أخلى غيره كتبهم منهم ، بل ليته سكت عن التمثيل »(٤) .

٦ ــ القراءات الشاذة :

يبين ابن الجزري مقياس القراءات الصحيحة فيقول :

« كل قراءة وافقت العربية ، ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز

---

(١) شرح ابن القاصح على الشاطبية ص ٦ المطبعة الأزهرية ، ط أولى .

(٢) الاتقان جـ ١ ص ٨٠ .

(٣) مختصر المنتهى الأصولي ص ٤٩ لابن الحاجب مطبعة كردستان العلمية .

(٤) القراءات واللهجات ص ٧٠ .

ردها ، ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة ، أو شاذة ، أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم(١) :

هذا المقياس الذي نص عليه ابن الجزري يوسع دائرة القراءات الصحيحة ، ولا يحصرها في دائرة القراءات السبع ، وفي الوقت نفسه لا يسمح لقراءات الشاذة أن تدخل في هذه الدائرة ، لأن مقياس القراءة الصحيحة يبعدها عن هذه الدائرة .

ونحن إذا نظرنا إلى القراءات السبع لوجدنا أنها منتخبة من قراءات صحيحة موافقة لخط المصحف ، وموافقة أيضاً للعربية . يدل على ذلك ما قاله نافع « قرأت على سبعين من التابعين ، فما اجتمع عليه اثنان أخذته ، وما شك فيه واحد تركته ، حتى اتبعت هذه القراءة »(٢) .

وقال مكي : « قرأ الكسائي على حمزة وهو يخالفه في نحو ثلاثمائة حرف لأنه قرأ على غيره فاختار من قراءة حمزة ، ومن غيره قراءة ، وترك منها كثيراً »(٣) .

وقال أيضاً : « وكذلك أبو عمرو قرأ علي ابن كثير ، وهو يخالفه في أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، لأنه قرأ على غيره ، واختار من قراءته . ومن قراءة غيره قراءة »(٤) .

لهذا ، فإننا نقرر أن القراءة الشاذة هي التي فقدت شرطاً من الشروط التي نص عليها ابن الجزري في النص السابق ، وليست القراءات

---

(١) النشر ج ١ ص ٩ .
(٢) الإبانة عن معاني القراءات ص ١٧ لمكي بن أبي طالب تحقيق الدكتور عبدالفتاح شلبي طبع نهضة مصر بالفجالة .
(٣) المرجع نفسه والصفحة .
(٤) المرجع نفسه والصفحة .

الشاذة ، كما يدعي بعض العلماء ـ هي التي لا تخضع للقراءات السبع ، أو التي لا تنطبق عليها هذه القراءات السبعية التي اختارها ابن مجاهد باجتهاده الخاص .

أشهر القراء الذين نسبت إليهم القراءات الشاذة :

١ ـ ابن شنبوذ : محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ :

من قراءته الشاذة أنه قرأ : « إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله(١) » وقرأ : « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا »(٢) وقرأ : « فلما خر تبينت الناس أن الجن أن لو كانو يعلمون الغيب مالبثوا حولاً في العذاب المهين »(٣) . . الخ .

ولا شك أن هذه القراءات كانت مخالفة لخط المصحف ، ولذلك أطلق عليها شاذة ويقال : أنه اعترف بذلك كله ، ثم استتيب ، وأخذ خطة بالتوبة ، فكتب يقول : محمد بن أحمد بن أيوب ، قد كنت أقرأ حروفاً تخالف مصحف عثمان المجمع عليه ، والذي اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على قراءته ثم بان لي أنّ ذلك خطأ . . وأنا منه تائب ، وعنه مقلع ، وأن الله جل اسمه منه بريء (٤) .

٢ ـ ابن مقسم : محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن . . . ابن مقسم أبو بكر العطار المقرىء ولد سنة ٢٦٥ هـ ، ومات لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٣٥٤ هـ .

حدث أبو بكر الخطيب قال : « ومما طعن به علي أبي بكر ابن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن ، فخالف الإجماع فيها ، وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة العربية ، وشاع ذلك عنه أهل العلم فأنكروه وارتفع الأمر

---

(١) الجمعة : ٩ .

(٢) الكهف : ٧٩ .

(٣) سبأ : ١٤ .

(٤) انظر الفهرست ص ٥٣ ، ٥٤ لابن النديم ، مطبعة الاستقامة .

إلى السلطان ، فأحضره ، واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة ، وكتب محضراً بتوبته ، وأثبت جماعة من حضر المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه .

وقد قال عنه أبو طاهر بن أبي هاشم المقرىء : « وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية في حرف القرآن ، يوافق خط المصحف ، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها ، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها قصد السبيل ، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله ، وحاول الحاق كتاب الله من الباطل مالا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه »(١) .

ومن قراءة ابن مقسم : أنه قرأ في قوله تعالى « فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًّا » . قرأ « نجباً »(٢) .

قال الرافعي : « فأزالها بذلك عن أحسن وجوه البيان العربي »(٣) .

٣ ــ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي في أواخر المائة الثانية قد جمع قراءة نسبها إلى الامام أبي حنيفة رحمه الله ، ومنها : « إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ(٤) » وقد كذبوه في إسناده ، وجعلوه مثلاً بينهم في القراءات الموضوعة المردودة(٥) .

٧ ــ فائدة اختلاف القراءات :

قبل أن أختم هذا الفصل أحب أن أبين أن لاختلاف القراءات فوائد

---

(١) أنظر معجم الأدباء جـ ١٨ ص ١٥٠ ، ١٥١ بتصرف .

(٢) يوسف : ٨٠ .

(٣) إعجاز القرآن للرافعي ص ٥٧ .

(٤) فاطر ٢٨ .

(٥) إعجاز القرآن للرافعي ص ٥٧ .

جمـــة سجلها ابن الجزري في كتابه النشر :

قال : « وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين ، والتسهيل ، والتخفيف على الأمــــة منها : ما في ذلك من نهاية البلاغة ، وكمال الإعجاز وجمال الإيجاز .

ومنها : ما في ذلك عظيم البرهان ، وواضح الدلالة . إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف ، وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ، ولا تخالف ، بل كله يصدق بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد ، وأسلوب واحد وما في ذلك إلا آية بالغة ، وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم .

ومنها : سهولة حفظه ، وتيسير نقله على هذه الأمة ، إذ هو على هــذه الصفة من البلاغة والايجاز ، فإنه من يحفظ كلمة ، ذات أوجه أسهل عليه ، وأقرب إلى فهمه ، وأوعى لقبوله من حفظه جملاً من الكلام تؤدي معــاني تلك القراءات المختلفات ، لا سيما فيما كان خطه واحداً فإن ذلك أسهــل حفظاً ، وأيسر لفظاً .

ومنها إعظــــام أجور هذه الأمــــة من حيث أنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك ، واستنباط الحكم والأحكام من دلالــة كل لفظ ، واستخراج كمين أسراره وخفي إشاراته وإنعامهم النظر ، وإمعانهم الكشف عن التوجيه والتعليل ، والترجيح والتفصيل بقــــدر ما تبلــغ غاية علمهم ، ويصل إليه نهاية فهمهم .

ومنها بيان فضل هذه الأمة ، وشرفها على سائر الأمم ، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي ، وإقبالهم عليه هذا الإقبال .

ومنها : ما ادخره الله تعالى من المنقبة العظيمة لهذه الأمة الشريفــــة من إسنادها كتاب ربها . . . وكل قارىء يوصل حروفه بالنقل إلى أصله .

ومنها : ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز ، وصيانة كلامه المنزل . . فإن الله تعالى لم يخل عصراً من الأعصار ، ولو في قطر من الأقطار من أمام حجة قائم ، ينقل كتاب الله تعالى ، وإتقان حروفه ، ورواياته ، وتصحيح وجوهه وقراءته ، يكون وجوده سبباً لوجود هذا السبب القويم على مر الدهور ، وبقاؤه دليلاً على بقاء القرآن العظيم في المصاحف والصدور(١) .

---

(١) النشر جـ ١ ص ٥٢ ، ٥٣ بتصرف .

الفصل الثاني

أثر القراءات فى الدراسات النحوية

شغلت القراءات أذهان النحاة منذ نشأة النحـــو ، ذلك لأن النحاة الأوّل الذين نشأ النحو على أيديهم كانوا قراء كأبي عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر الثقفي ، ويونس والخليل ولعل اهتمامهم بهذه القراءات وجههم إلى الدراسة النحوية ليلائموا بين القراءات والعربية بين ما سمعوا ورووا مـــن القراءات وبين ما سمعوا ورووا من كلام العرب .

فأبو عمرو بن العلاء كما يحدثنا أبو عبيدة كان يقـــرأ « لَتَخِذْتَ عليه أجرًا »(١) . قال : أبو عبيدة : فسألته عنه ، فقال : هي لغـــــة فصيحة ، وأنشد قول الممزق العبـــــدي :

وقد تَخِذتْ رجلي إلى جنب غرزهـــا
نسيفاً كأفحوص القطاة المطرق(١)

وكان أبو عمر يؤيد قراءة النصب في قوله تعـــالى « ثم لننزعن من كل شيعة أيهـّم أشد »(٣) .

قال أبو عمر : خرجت من الخندق – يعني خندق البصرة – حتـــى صرت إلى مكة لم أسمع أحداً يقول « اضرب أيهـــــم أفضل أي كلهـــم ينصبون »(٤) .

وابن أبي اسحاق كان يقرأ « والمقيمي الصلاة » بالنصب(٥) .

قال أبو الفتح : أراد المقيمين ، فحذف النـــون تخفيفاً لا لتعاقبها الإضافة(٦) .

---

(١) الكهـــف : ٧٧ .
(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي جـ ٣ ص ٤١ ط الهند .
(٣) مـــريم : ٦٩ .
(٤) البيان في غريب اعراب القرآن ورقة ٢٥١ مخطوط رقم ٦٤٤ تفسير دار الكتب لابن الأنبـــاري .
(٥) الحج ٣٥ .
(٦) المحتسب جـ ٢ ص ١١٥ .

و ابن كثير : كان يقرأ : « وإن تك حسنةٌ(١) » بالرفع

والخليل : كان يقرأ(٢) : « حتى يصدر الرُّعاء»(٣) .

وكان عيسى : يقرأ : « من نهار بلاغاً »(٤) قال أبو الفتح هو على فعل مضمر ، أي بلغوا أو بلغوا بلاغاً(٥) .

ولما استقرت قواعد النحو مسجلة في (الكتاب) . وظهرت المدرسة البصرية ، ثم الكوفية ، اتجه النحاة إلى القراءات ، آخذين منها ما يؤيد وجهة نظرهم من جهة ، ورافضين ما لم يقبله القياس ، أو يتفق مع الأصول من جهة أخرى .

وكانت دائرة الخلاف تتسع وتضيق تبعاً لبعد هذه القراءات عن الأصول والمقاييس أو قربها منها .

ولم تكن الخلافات النحوية في مجال القراءات وقفا على البصريين أو الكوفيين ، بل تجاوزت ذلك إلى المذاهب الفردية والآراء الشخصية لمشاهير النحاة ، حيث كثر بينهم الجدل حول هذه القراءات ، واحتدم النزاع .

وهدفي من هذا الفصل أن أبين أن القراءات أثرت في هذه الدراسات كما بينت في كتاب سابق أن القرآن الكريم أثر في دراسات النحو تأثيراً كبيراً .

---

(١) النساء : ٤٠ .

(٢) القصص : ٢٣ .

(٣) ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصاغاني ص ١٣ ، ١٤ .

(٤) الأحقاف ٣٥ .

(٥) المحتسب جـ ٢ ص ٣٣٢ .

أما تأثير القراءات في الدراسات النحوية ، فإنه يقوم على النقاط الآتية :

١ ـ القراءات بين البصريين والكوفيين :

البصريون كانوا لا يحتجون بالقراءات إلا في القليل النادر الذي يتفق مع أصولهم ويتناسق مع مقاييسهم ، وذلك كاستدلالهم مثلاً في كلا وكلتا بقراءة حمزة والكسائي :

وبيان ذلك أن البصريين يذهبون إلى أن كلا وكلتا فيهما إفراد لفظي وتثنية معنوية ، والألف فيهما كالألف في عصا ورحا . ويستدلون على أن الألف فيهما ليست للتثنية انها تجوز إمالتها ، قال الله تعالى : « إما يبلغن عندك الكبر أحدُهما أو كلاهُما(١) . وقال تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها »(٢) . قرأهما حمزة والكسائي وخلف ، بإمالة الألف فيهما ، ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتها لأن ألف التثنية لا تجوز إمالتها(٣).

وكاستدلالهم أيضاً على أن إن المخففة من الثقيلة تعمل النصب في الاسم بقراءة من قرأ « وإن كلاًّ لما ليوفينهم ربك أعمالهم »(٤) في قراءة من قرأ بالتخفيف ، وهي قراءة نافع وابن كثير ، وروي أبو بكر عن عاصم بتخفيف إن ، وتشديد لما (٥) .

هذا والكوفيون لم يتحفظوا في مجال القراءات كما تحفظ البصريون ذلك لأنهم رأوا أن القراءات سندها الرواية ، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره ، لأن شعار الرواة فيها الدقة والضبط والإتقان . . ومن ثم كانت في نظرهم مصدراً لتقعيد القواعد ـ وبناء الأساليب ، وتصحيح الكلام بغض النظر عن موافقتها للمقياس المأخوذ أو عدم موافقتها ، لأنها في ذاتها يجب أن تشتق منها المقاييس ، وتستمد الأصول.

---

(١) الاسراء : ٢٣ .
(٢) الكهف : ٣٣ .
(٣) الإنصاف جـ ٢ ص ٤٤٨م ٦٢ .
(٤) هود : ١١١ .
(٥) الانصاف جـ ١ ص ١٩٦ م ٢٤ .

ومنهج الكوفيين في الواقع أسلم وأصح في مضمار القراءات من منهج البصريين لأن اتخاذ القراءات مصدراً للاستشهاد يثري اللغة ، ويزيد من رصيدها ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام ، فلا تمد يدها إلى تعريب أو إلى دخيل .

والقراءات كما بينت سجل واف للغات التي نزل بها القرآن الكريم ، وما دام سندها الرواية ، ودعامتها السماع ، فهي من أجل هذا أقوى من المصادر الأخرى كالشعر وغيره ، لأن رواة القراءات يتحرجون من عدم الدقة فيها على حين لا يبالون بالحرج في غيرها حينما تخون الحافظة ، أو يستبد النسيان ، أو يقع على الألسنة التحريف.

وقد عجب ابن حزم من منطق البصريين إزاء القراءات ، فقال ما نصه :

« من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكما لفظيا ويتخذه مذهباً ، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم ، فيأخذ في صرف الآية عن وجهها . »

وقال في موضع آخر :

« ولا عجب أعجب ممن إنْ وجد لامرىء القيس ، أو لزهير ، أو لجرير ، أو للحطيئة ، أو الطرماح ، أو لأعرابي أسدى أو سلمى ، أو تميمي أو من سائر أبناء العرب لفظا من شعر أو نثر جعله في اللغة وقطع به ، ولم يعترض فيه .

ثم إذا وجد الله تعالى خالق اللغات وأهلها ـ كلاما لم يلتفت إليه ، ولا جعله حجة ، وجعل يصرفه عن وجهه ، ويحرفه عن موضعه(١) .

بقى أن نعرض لبعض المسائل التي اختلفت فيها وجهة نظر الفريقين بسبب القراءات .

---

(١) نقلا عن أصول النحو ص ٢٩ للأستاذ سعيد الأفغاني . مطبعة الجامعة السورية ط ثانية .

من المسائل التي اختلفت فيها وجهة الفريقين بسبب القراءات :

١ ـ وقوع الفعل الماضي حالا :

يذهب الكوفيون إلى أن الفعل الماضي يجوز أن يقع حالا ، واحتجو بقوله تعالى « أو جاؤكم حَصِرَتْ صدورهم »(١) . فحصرت فعل ماض ، وهو في موضع الحال ، وتقديره حصرة صدورهم والدليل على صحة هذا التقدير قراءة من قرأ « أو جاؤكم حصرةً صدورهم »(٢) ، وهي قراءة الحسن البصري ، ويعقوب الحضرمي ، والمفضل عن عاصم .

أما البصريون فذهبوا إلى أنه لا يجوز أن يقع حالا ، وخرجوا الآية التي استدل بها البصريون ، وكان تخريجهم يقوم على أربعة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون صفة لقوم المجرور في أول الآية

والوجه الثاني : أن تكون صفة لقوم مقدر ، ويكون التقدير منه « أوجاءكم قوماً حصرت صدورهم ، والماضي إذا وقع صفة لموصوف محذوف جاز أن يقع حالا بالإجماع .

والوجه الثالث : أن يكون خبراً بعد خبر ، كأنه قال : « أوجاؤكم ثم أخبر » فقال : حصرت صدورهم .

والوجه الرابع : أن يكون محمولا على الدعاء ، لا على الحال ، كأنه قال : ضيق الله صدورهم كما يقال : جاءني فلان ، وسع الله رزقه(٣) .

٢ ـ هل تكون إلا بمعنى الواو :

ذهب الكوفيون إلى أن الا تكون بمعنى الواو ، وذهب البصريون إلى أنها لا تكون بمعنى الواو ، واحتج الكوفيون لمذهبهم بقوله تعالى :

---

(١) النساء : ٩٠ .

(٢) النساء : ٩٠ .

(٣) الإنصاف جـ ١ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ م ٣٢ .

« لئلا يكون للناس عليكم حجة إلاّ الذين ظلموا منهم »(١) « أي ولا الذين ظلموا . وأيدوا حجتهم بقراءة بعض القراء إلى الذين ظلموا » مخففا بمعنى مع الذين ظلموا منهم(٢) .

ونقض البصريون دليل الكوفيون في القراءة فقالوا : وأما قراءة من قرأ « إلى الذين ظلموا منهم » بالتخفيف ، فإن صحت وسلم لكم ما ادعيتموهُ على أصلكم من أن إلى تكون بمعنى مع فليس لكم فيه حجة تدل على أن إلا تكون بمعنى الواو ، لأنه ليس من الشرط أن تكون إحدى القراءتين بمعنى الأخرى وإذا اعتبرتم هذا في القراءات وجدتم الاختلاف في معانيها كثيراً جداً ، وهذا مما لا خلاف فيه ، وإذا ثبت هذا فيجوز أن تكون قراءة من قرأ « إلى الذين » بالتخفيف بمعنى مع ، وقراءة من قرأ « إلا » بالتشديد بمعنى لكن(٣) ؟ .

٣ – هل فعل الأمر معرب ؟ :

ذهب الكوفيون إلى أن فعل الأمر للمواجه المعري عن حرف المضرعة – نحو افعل – معرب مجزوم .

وذهب البصريون إلى أنه مبني على السكون .

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا إنه معرب مجزوم لأن الأصل في الأمر للمواجه في نحو « افعل » لتفعل ، كقولهم : في الأمر للغائب « ليفعل » وعلى ذلك قوله تعالى « فبذلك فلتفرحوا هو خير مما يجمعون »(٤) في قراءة من قرأ بالتاء من أئمة القراء وُذكرت القراءة أنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أبيّ بن كعب ، ورويت هذه

---

(١) البقرة ١٥٠ .

(٢) واحتج الكوفيون بورود إلى بمعنى مع بقوله تعالى : « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وأرجلكم إلى الكعبين أي مع المرافق ، ومع الكعبين ، من أنصاري إلى الله ، أي مع الله ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي مع أموالكم ، الذود إلى الذود ابل ، أي مع الذود .

(٣) الإنصاف ج ١ ص ٢٦٦ ، ٢٧٢ م ٣٥ .

(٤) يونس : ٥٨ .

القراءة عن عثمان بن عفان ، وأنس بن مالك والحسن البصري . . الخ .
فثبت أن الأصل في الأمر للمواجه في نحو – افعل – أن يكـون باللام نحو : لتفعل ، كالأمر للغائب ، إلا أنه لما كثر استعمال الأمر للمواجه في كلامهم ، وجرى على ألسنتهم أكثر من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيـه مـع كثره الاستعمال فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف .

وأما البصريون ، فقالوا : إن علة وجود الإعراب في الفعل المضارع وجود حرف المضارعة ، فما دام حرف المضارعة ثابتاً كانت العلة ثابتـة سليمة عن المضارعة كان حكمها ثابتاً ، ولهذا كان قوله تعالى : « فبذلك فلتفرحوا »(١) معربا(٢) .

٤ – هل يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلها ؟ :

ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز نقل حركة همزة الوصل إلى الساكن قبلهـــا .

وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز .

أما الكوفيون فقالوا : « حكى الكسائي قال : قرأ على بعض العـرب سورة « قٓ » فقال : « مناع للخير ، معتد مريبَنَ الذي(٣) » بفتح التنوين » لأنه نقل فتحة همزة الذي إلى التنوين قبلها .

وحكى أيضاً عن بعض العرب « بسم الله الرحمن الرحيمَ الحمد لله » بفتح الميم لأنه نقل فتحة همزة « الحمد » إلى الميم قبلهـــا .

وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني ، وهو من سادات أئمـــة

---

(١) الانصاف جـ ٢ ص ٥٢٤ إلى ص ٥٤١ م ٧٢ .

(٢) البصريون : قالوا : ان فعل الأمر مبني على السكون لأن الأصل في الأفعال أن تكـون مبنية والأصل في البناء أن يكون على السكون ، وإنما أعرب ما أعرب من الأفعال لمشابهة ما بالأسماء ، ولا مشابهة بوجه ما بين فعل الأمر والأسماء ، فكان باقياً على أصله في البناء .» (الإنصاف في المسألة نفسها) .

القراءة « وإذ قلنا للملائكةُ اسجدوا(١) » فنقل ضمة همزة اسجدوا إلى التاء قبلها ، فدل على جوازه .

وأما البصريون فقالوا : أما احتجاجهم بقوله تعالى : « آلمَ الله » فلا حجة لهم فيه لأن حركة الميم إنما كانت لالتقاء الساكنين وهي الميم واللام من الله . . . ثم قالوا : والجواب عن احتجاجهم بقراءة بعض العرب « مريبن الذي » فإن الفتحة في التنوين ليس عن إلقاء حركة همزة الذي ، وإنما حركة لالتقاء الساكنين – وهما التنوين واللام من الذي ، ثم قالوا : على أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ بهذه القراءة لأنه لإ امام لها ، وكذلك ما حكاه عن بعض العرب من فتح الميم من « الرحيم الحمد لله » لأنها لإ امام لها على أنه لا وجه للاحتجاج بها ، لأن فتح الميم فتحة اعراب ، لأنه لما تكرر الوصف عدل به إلى النصب على المدح بتقدير : أعنى(٢) .

٥ – وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل(٣) :

روي ابن مجاهد عن ابن عباس أن في مصحف ابن مسعود :

« وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ويقولان ربنا ، وفيه : « والذين اتخذوا من دونه أولياء : (قالوا) : ما نعبدهم(٤) » وفيه : « والملائكة باسطو أيديهم ، (يقولون) : أخرجوا(٥) » . قال أبو الفتح في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا – يقصد البصريين – من أن القول مراد مقدر في نحو هذه الأشياء ، وأنه ليس كما يذهب إليه الكوفيون من أن الكلام محمول على معناه دون أن يكون القول مقدرا معه(٦) .

---

(١) البقرة ٣٤ .
(٢) الإنصاف جـ ٢ ص ٧٤١ ، ٧٣٢ ، ٧٤٣ م ١٠٨ .
(٣) البقرة : ١٢٧ .
(٤) الزمر : ٣ .
(٥) الانعام : ٩٣ .
(٦) المحتسب ابن جنى رقم ٣٧٩ تفسير ص ١١٢ – ١١٣ .

٦ ـ إعمـــال إن النافية :

أجاز إعمالها الكسائي ، وأكثر الكوفيين .

قرأ سعيد بن جبير : « إنْ الذين تدعون من دون الله عبـــاداً أمثـــالكم(١) »(٢) .

٧ ـ « الحمد لله » بضم اللام :

الكوفيون اجتهدوا في تأييد هذه القراءة لمناسبة الإتباع . قال يوهان فك :

« وعلى النقيض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة بحجة أنها سقطت من الاستعمال تماماً ، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمـــة بالاعراب(٣) » .

هذه طائفة من المسائل التي اختلف فيها البصريون والكوفيون في مجال القراءات وهي غيض من فيض ذكرت بعضها لتكون دليلاً يؤيد ما أقول من أن القراءات أثرت في النحو البصري والكوفي تأثيراً كبيراً .

٢ ـ القراءات المشكلة وموقف النحاة منها :

هناك قراءات مشكلة ظاهرها يدل على أنها متعارضة مع الأصـــول مخالفة للمقاييس .

ووقف النحاة أمام هذه القراءات المشكلة ليوضحوا غامضها ، ويزيلوا أشكالها واجتهد كل منهم ليدلي بدلوه بين الدلاء في مضمار هذه القراءات . وبسبب هذه القراءات المشكلة أثرى النحو ، وتعددت مسائله ، وفاضـت كتبه حتى امتلأت بالآراء العديدة .

ونحن لا نستطيع في هذا المقام جمع هذه القراءات المشكلة ، وآراء النحاة فيها لأن ذلك يطيل أمد البحث ، وقد لا نصل إلى الغـــاية منها وإنما

---

(١) الأعراف : ١٩٤ .
(٢) الهمع جـ ١ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٣) العربية ص ٣٢ .

نكتفي هنا بنماذج معدودة لنشير إلى هذه الحقيقة التي ذكرتها وهي أن القراءات كانت مصدراً كبيراً لثروة نحوية امتلات بها خزائنه .

نماذج للقراءات المشكلة ، وآراء النحاة فيها :

١ ـ « إن هذان لساحران »(١) :

رأي ابن قتيبة :

قال : قالوا في قوله سبحانه « إن هذان لساحران » هي لغة بلحارث بن كعب يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يداه ، وركبت علاه ، وأنشدوا :

تزود منا بين أذناه ضربة
دعته إلى هابي التراب عقيم(٢)

وأنشدوا :

طاروا علاهن فطر علاها(٣)

ثم قال : على أن القراء قد اختلفوا في قراءة هذا الحرف ، فقرأه أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر . إنّ هذين لساحران ، وذهبا إلى أنه غلط من الكاتب كما قالت عائشة .

---

(١) طه : ٦٣ .

(٢) في اللسان جـ ١٠ ص ٦٤ : تزود منا بين أذنيه طعنة . . الخ فتكون القاعدة كما هي لم يحدث فيها تغيير ، والبيت لهوبر الحارثي : اللسان جـ ١٩ ص ١٦٣ ، هابي التراب . قال في اللسان : وموضع هابي التراب كأن ترابه مثل الهباء في الرقة . انظر اللسان جـ ٢٠ ص ٢٢٦

(٣) اللسان جـ ١٩ ص ٣٢٢ يروى عن الخليل : قال سيبويه ألف علا زيدا ثوب منقلبة من واو إلا أنها تقلب مع المضمر ياء تقول : عليك ، وبعض العرب يتركها على حالها . قال الراجز :

أي قلوصى راكب تراها
فاشدد بمثنى حقب حقواها
ناديــة وناديـا أباها
طاروا علاهن فطر علاها

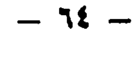

ثم قال : وقرأ بعضهم : إن هذان لساحران » اعتبارا بقـــــراءة أبي ، لأنها في مصحفه : إن ذان إلا ساحران .

وفي مصحف عبدالله « وأسروا النجوى إن هذان ساحران منصوبـــة الألف بجعل » إن هذان » تبيينا للنّجوى(٤) .

رأي ابن الأنبـــــاري :

قال : « إن بمعنى نعم وجه ضعيف لدخول اللام في الخبر وهـــــو قليل في كلامهـــــم .

وقيل : إن الهاء مضمرة مع إن كما تقول : إنه زيد ذاهب ، وفيـــه أيضاً ضعف ، لأن هذا إنما يجيء في الشعر .

وقيل لأن (هذان) لما لم يظهر الإعراب في واحده وجمعه ، حملت التثنية على ذلك ، وهذا أضعف من الذي قبله .

ومن قرأ إن بالتخفيف كان فيه وجهان : أحدهما : أن تكـــون إن مخففة من الثقيلة ، ولم يعملها ، لانها إنما عملت لشبه الفعل ، فلما حذف منها النون ، وخففت ضعف وجه الشبه فلم تعمل .

والثاني : أن تكون إن بمعنى ما ، وهذان الوجهان يخرجان على مذهب الكوفيين(٢) .

رأي أبي محمد بن أبي طالب الأندلسي :

قال : من رفع هذان حمله على لغة بني الحارث بن كعب يأتـــــون بالمثنى بالألف على كل حال .

وقيل : إن بمعنى نعم ، وفيه بعد لدخـــول اللام في الخبر ، وذلك لا يكون الا في شعر كقـــــوله :

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٣٦ و ٣٧ .

(٢) البيان في غريب اعراب القرآن لابن الانباري ورقة ٢٥٧ مخطوط رقم ٦٤٤ تفسير دار الكتب .

• أم الحليس لعجـــوز شهربـــة ••

وكان وجه الكلام لأم الحُلَيْس عجوز(١)

كذلك كان وجه الكلام في الآية : إن حملت إن على معنى نعم « إن لهذان ساحران » كما تقول : نعم لهذان ساحران ، نعم ، ولمحمد رسول الله وفي تأخر اللام مع لفظ « إن » بعض القوة على « نعم » .

وقيل : إن المبهم لما لم يظهر فيه إعراب الواحد ، ولا في الجمع جرت التثنية على ذلك فأتى بالألف على كل حال .

وقيل : إنها مضمرة(٢) مع أن ، وتقديره إنه هذان لساحران . كما تقول : إنه زيد منطلق وهو قول حسن ، ولولا أن دخول اللام في الخـبر يبعـده . فأما من خفف إن فهي قراءة حسنـة لانه أصحّ في الإعـراب ولم يخالف الخط(٣) .

رأي الصاحبـي :

قال : ذهب بعض أهل العلم إلى أن الإعراب يقتضى أن يقال : إن هـــذان .

قال : وذك أن « هذا » اسم منهوك ، ونهكه أنه على حرفين أحدهما حرف علة ، وهي الألف ، وها كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء . فلما ثنى احتيج إلى ألف التثنية ، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصليـة ، واحتيج إلى حذف إحداهما فقالوا : إن حذفنا الألف الأصلية بقى الاسـم على حرف واحد ، وإن اسقطنا ألف التثنية كان في النون منها عـوض ودلالة على معنى التثنية ، فحذفوا ألف التثنية فلما كانت الألف الباقيـة

---

(١) تكملة : ترضى من اللحم بعظم الرقبة – الشهربة : العجوز الكبيرة انظر : الدرر اللوامع جـ ١ ص ١١٧ للشنقيطي ط أولى سنة ١٣٤٨ مطبعة كردستان .

(٢) في الأصل أنها مضمرة مع أن ، ولعل المراد : ان الهاء مضمرة مع أن .

(٣) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب مخطوط رقـم ٢٣٢ تفسير دار الكتب .

هي ألف الاسم واحتاجوا إلى إعراب التثنية لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع فتركوها على حالها في النصب والخفض .

قال الصاحبي : ومما يدل على هذا المذهب قوله جل ثناؤه : « فذانك برهانان من ربك »(١) لم تحذف النون — وقد أضيف — لأنه لو حذفت النون لذهب معنى التثنية أصلا . لانه لم تكن للتثنية هاهنا علامة إلا النون وحدها ، فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية(٢) .

رأي ابن كيسان :

قال السيوطي : رأيت بخط ابن القماح قال : ذكر القفطي في كتاب « إنباه الرواة » أن القاضي إسماعيل بن إسحاق سأل أبا الحسن محمد بن أحمد بن كيسان ما وجه قراءة من قرأ : « إن هذان لساحران » على ما جرت به عادتك من الإعراب في الإعراب فأطرق ابن كيسان مليا ثم قال : بجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر . قال : فما علة بنائها — قال : لأن المفرد منها هذا ، وهو مبني ، والجمع هؤلاء وهو مبنى فتحمل التثنية على الوجهين ، فأعجب القاضي ذلك وقال : ما أحسنه لو قال به أحد . فقال ابن كيسان : ليقل به القاضي وقد حسن(٣) .

رأي ابن هشام :

قال بعد أن ذكر عدة آراء لغيره من النحاة وناقشها :

وقيل هذان اسمها ، ثم اختلف . فقيل جاءت على لغة بلحرث بن كعب في إجراء المثنى بالألف دائماً كقوله : * قد بلغا في المجد غايتاها *(٤). واختار هذا الوجه ابن مالك .

---

(١) القصص ٣٢ .

(٢) الصاحبي لأحمد بن فارس مطبعة المؤيد ص ٢١ .

(٣) الأشباه والنظائر ج ٣ ص ١٣٤ .

(٤) نسب قوم هذا الرجز لرؤبة بن العجاج ونسبه آخرون لأبي النجم الفضل بن قدامة العجلي (هامش شرح شذور الذهب تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ص ٣٩ مطبعة مصطفى محمد .

وقيل - هذان مبنى لدلالته على معنى الاشارة ، وأن قول الاكثرين هذين جرا ونصبا ليس إعرابا أيضا ، واختاره ابن الحاجب .

قلت : وعلى هذا فقراءة هذان أقيس إذ الأصل في المبنى ألا تختلف صيغه مع أن فيها مناسبة لألف ساحران ، وعكسه الياء في « إحدى ابنتي هاتين »(١) فهي هنا أرجح لمناسبة ياء ابنتي(٢) .

رأي أبي عبيدة :

قال : ومجازا لمحتمل من وجوه الإعراب كما قال : إن هذان لساحران – قال وكل هذا جائز معروف قد يتكلمون به(٣) .

هذه طائفة من آراء عديدة في هذه القراءة التي وردت في « إن هذان لساحران » والواقع أنه لا داعي لهذه التأويلات والتقديرات التي تشتت الفكر وتحير العقل وتجعل طالب النحو يعيش في دوامة من اضطرابات الآراء وتناقض الأفكار التي يلمسها في دراسته لمسائل هذا العلم ، لم لا نريح أنفسنا ونوفر هذا المجهود الذي لا يوصل إلى الهدف . ونقول : انها لغة ، واللغة ظاهرة اجتماعية لا تخضع لهذه المقاييس النحوية ، ولم تكن لغة قبيلة واحدة بل ذكر بعض النحاة أنها لغات قبائل متعددة كما قال ابن جماعة إنها « لغة بني الحارث وخثعم وزبيد وهمدان وبني العنبر وعذرة ومراد وغيرهم(٤) .

ومن عجب أن تكون لغة لهذه القبائل العديدة ثم يأتي النحاة بعد ذلك – يتأولون ، ويخرجون ، ونسوا أنه كان يجب أن تؤخذ هكذا كما رويت وكما قرىء بها .

---

(١) القصص ٢٧ .

(٢) مغنى اللبيب جـ ١ ص ٣٧ مطبعة الحلبي .

(٣) مجاز القرآن ص ١٦ لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي م ٢١٠ هـ تحقيق محمد فؤاد سزكين ط أولى سنة ١٩٥٤ م .

(٤) حاشية ابن جماعه على شرح الشافية جـ ١ ص ٢٧٧ .

٢ – « وامسحوا برءوسكم وأرجلِكم »(١)

رأي أبي جعفـــر النحاس :

قال أبو جعفر النحاس : « من قرأ بالنصب جعله عطفا على الأول » « واغسلوا أرجلكـــــم . »

ثم قال : إن الاخفش وأبا عبيدة يذهبان إلى أن الخفض على الجـــوار والمعنى للغسل . وقال الأخفش : مثله : هذا جحر ضب خرب – وقـــال أبو جعفر معقبا : وهذا القول غلط غظيم ، لأن الجـــــوار لا يجوز في الكلام أن يقاس عليه وإنما هو غلط ، ونظيره الإقواء(٢) .

وينسب أبوجعفـــــر قراءة النصب إلى (عروة بن الزبـــير ونافع والكسائي) :

قال : وقرأ أنس بن مالك : «وأرجلكم» بالخفض ، وهي قـــراءة أبي جعفر وأبي عمرو بن العلاء وعاصم وحمزة والأعمش .

على أنه يقال : تمسحت بمعنى تطهرت للصلاة . فتكون على هـــــذا الخفض كالنصب .

قال أبو جعفر : وسمعت على بن سليمان يقول : التقـــــدير : وأرجلكـــــم غسلاً ثم حذف هذا لعلم السامع(٣) .

رأي الزجـــــاج :

قال : القراء بالنصب ، وقد قرئت بالخفض ، وكلا الـــــوجهين جائز في العربية فمن قرأ بالنصب فالمعنى فاغسلوا وجوهكم وأيديكـــــم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين ، وامسحوا برءوسكم على التقديم والتأخير ، والواو جائز فيها ذلك كما قال جل وعز « يا مريم اقنتي لربك واسجـــدي

---

(١) المائـــــدة ٦ .

(٢) إعراب القرآن ورقة ١٥٠ لأبي جعفر النحاس مخطوط رقم ٤٨ تفسير دار الكتب .

(٣) الناسخ والمنسوخ ص ٢١ لأبي جعفر النحاس – مطبعة السعادة ط أولى سنة ١٣٢٣ هـ.

واركعي مع الراكعين »(١) والمعنى : اركعي واسجدي لأن الركوع مثـــل السجـــود .

ومن قرأ : وأرجلكم بالجر عطف على الرءوس : قال بعضهم : نزل جبريل بالمسح والسنة في الغسل .

وقال بعض أهل اللغة هو جر على الجوار . فأما الخفض على الجـــوار فلا يجوز في كتاب الله(٢) .

رأي ابن الحاجب :

قال : من قرأ بالخفض عطف على قوله برءوسكم وأرجلكـــــم ، والمراد اغسلوا أرجلكـــــم وليس الخفض على المجـــاورة ، وإنما عـــلى الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر .

والعرب إذا اجتمع فعلان متقاربان في المعنى ، ولكل واحد متعلـــق جوزت ذكر أحد الفعلين ، وعطفت متعلق المحذوف على المذكور عـــلى حسب ما يقتضيه لفظه حتى كأنه شريكه في أصل الفعل إجراء لأحـــد المتقاربين مجرى الآخر كقولهم : تقلدت بالسيف والرمح ، وعلفتهـــا بالتبن والمـــــاء .

وقال الإمام الزمخشري : إنه مخفوض على الجوار وليس بجيد إذ لم يأت الخفض على الجوار في القرآن الكـــــريم ولا في الكلام الفصيـــح وإنمـــا هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العـــــرب ، فلتحمل الآية على ما ذكر(٣) .

رأي الزمخشري :

قال : « وأرجلكم بالنصب فدل على أن الأرجل مغسولة . فإن قلت : فما تصنع بقراءة الجر ، ودخولها في حكم المسح ؟

---

(١) آل عمران ٤٣ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ورقة ٥٩ ، ٦٠ مخطوط رقم ١١١ م تفسير .

(٣) الأمالي لابن الحاجب ص ٥٥ مخطوط رقم ١٠٣٤ نحو – دار الكتب .

قلت : الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظمنة الإسراف المذموم المنهى عنه ، فعطفت على الثالث الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها(١).

تعقيب :

ويعقب ابن المنير على الزمخشري فيقول : ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل والوجه منه أن الغسل والمسح متقاربان من حيث أن كل واحد منهما إمساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله : — متقلدا سيفا ورمحا — .

وقوله : علفتها تبنا وماء باردا(٢) .

ونظائره لكثيرة ، وبهذا وجه الحذاق(٣) .

رأي العكبري :

قال : وأرجلكم يقرأ بالنصب ، وفيه وجهان : احدهما هو معطوف على الوجوه والأيدي ، أي فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم ، وذلك جائز في العربية بلا خلاف ، والسنة الدالة على وجوب غسل الرجلين تقوى ذلك . والثاني : أنه معطوف على موضع برءوسكم والأول أقوى لأن العطف على اللفظ أقوى من العطف على الموضع .

ويقرأ في الشذوذ بالرفع على الابتداء ، أي وأرجلكم مغسولة — كذلك — ويقرأ بالجر ، وهو مشهور أيضاً كشهرة النصب ، وفيه وجهان :

أحدهما : أنها معطوفة على الرءوس في الإعراب ، والحكم مختلف ، فالرءوس ممسوحة والأرجل مغسولة ، وهو الإعراب الذي يقال هو على الجوار وليس بممتنع أن يقع في القرآن لكثرته فقد جاء في

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التأويل جـ ١ ص ٤٧٤ .

(٢) قال السيوطي : تمامه : حتى شتت همالة عيناها . ثم قال : هذا رجز مشهور بين القول لم أر أحداً عزاه إلى راجز (شواهد المغنى ص ٣١٣) المطبعة البهية بمصر .

(٣) الانتصاف ص ٤٧٤ لأحمد بن المنير . مطبعة الاستقامة — طبعة ثانية .

القــــرآن والشعر فمن القرآن قوله تعالى « وحور عينٍ »(١) على قراءة من جر وهو معطوف على قوله « بأثواب » ، « وأباريق » والمعنى مختلف إذ ليس المعنى : عليهم ولدان مخلدون بحور عين .

قال الشاعر وهو النـــــابغة :

لم يبـــــق الا أسيرٌ غــــير مُنْفَلِتٍ
أو موثقٍ(٢) في حبال القدِّ مجنــوبِ(٣)

والقول في مجروره ، والجوار مشهور عندهم في الإعراب . وقلب الحروف بعضها إلى بعض والتأنيث وغير ذلك .

فمن الإعراب ما ذكرنا في العطف ، ومن الصفات قوله « عذاب يومٍ محيطٍ(٤) » واليوم ليس بمحيط وإنما المحيط العذاب . وكذلك قــوله « في يوم عاصف »(٥) واليوم ليس بعاصف ، وإنما العاصف الريح . ومن قلب الحروف قوله عليه الصلاة والسلام : « ارجعن مأزورات غير مأجورات » والأصل موزورات ، ولكن أريد التآخي . ومن التأنيث قوله « فله عشر أمثالها »(٦) فحـــــذف التاء من عشر ، وهي مضافة إلى الأمثال ، وهي مذكرة (٧).

وهذه القراءة أيضاً مرجعها اللغة لا القيــــاس ، فالنحاة لم يحيطوا بكلام العرب ، وبنوا أقيستهم على مجموعة من النصوص لم تحط بكل ما قال العـــرب .

---

(١) الواقعـــة ٢٢ .
(٢) ديوان النابغة ص ١٢ من مجموعة خمسة دواوين . ٧ الوهبية سنة ١٢٩٣ هـ .
(٣) القد : الشيء المقـــدود بعينه ، مجنوب : جنب الفرس والأسير بجنبه جنباً بالتحريك فهو مجنوب وجنيب قاده إلى جنبه (اللسان في الكلمتين) .
(٤) هود ٨٤ .
(٥) إبراهيم ١٨ .
(٦) الأنعـــام ١٦٠ .
(٧) إملاء ، ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات جـ ١ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ مطبعة الحلبـــي .

وقد أصاب العُكبُري في هذا البحث القيم إذ بين أن الجــوار أمر لا تنكره اللغة وإذا لم تنكره اللغة لا ينكره القــرآن لأنه نزل بلغات العرب ، بلسان عربي مبين .

٣ – « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم »(١)

رأي الفـــراء :

قال : وفي بعض مصاحف أهل الشام شركايهم بالياء فإن تكن مثبتة عن الأولين فينبغي أن يقرأ زُيِّن وتكون الشركاء هم الأولاد ، لأنهـــم منهم في النسب والميراث .

ثم قال : فإن كانوا يقرأون زَيّنَ فلست أعرف جهتها إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عشايا(٢) ثم يقولون في تثنية الحمراء حمرايان ، فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زين لكثير من المشركين قتـــل أولادهم شركائهم ، وإن شئت جعلت زين إذا فتحته فعلا لإبليس ثم تخفض الشركاء باتباع الأولاد .

وليس قول من قال : إنما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتهـــا متمكنـــا
زج القلوصَ أبي مـــزاده(٣)

بشيء ، وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية(٤)

والفراء في هذه القراءة قراءة أهل الشام يبين وجه هذه القـــراءة فإن كانت « شركايهم » بالياء فينبغي أن تكون زين مبنية للمفعول .

---

(١) الأنعـــام : ١٣٧ .

(٢) أي يبقون حرف العلة في الطرف بعد الألف الزائدة على أصله ولا يبدلونه همزة فيقولون في بنيت بنايا لا بناء (من هامش معاني القرآن للفراء في الموضع نفسه) .

(٣) قيل المراد : زججت الكتيبة أي دفعتها ، والقلوص – الناقة الضعيفة ، وأبو مزادة : رجل (هامش معاني الفراء) .

(٤) معاني القرآن للفراء ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ج ١ . مطبعة دار الكتب تحقيق الأستاذين أحمـد يوسف نجاتي – محمد علي النجار .

والفراء لا يدري ماذا يقرأ أهل الشام ؟ فإن كانوا يقرءون زين بالبناء للمفعول فإن الشركاء على هذه القراءة هم الأولاد لأنهم منهم في النسب والميراث .

وإن كانوا يقرءون زين بالبناء للفاعل فهذه القراءة لا يعرف جهتها ثم يحترس ، ويقول إلا أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون : عشايا ، ومعنى ذلك (أن شركايهم) جاءت على لغة من يبقى حرف العلة في الطرف بعد الألف الزائدة على أصله ولا يبداونه همزة .

رأي الزجاج :

قال : من التقديم والتأخير قراءة ابن عامر . . . والتقدير قتل شركائهم أولادهم ، فقدم المفعول على المضاف إليه ، قالوا : وهذا ضرورة ليست بضرورة ؛ لا أنه قد كثر عندهم ذلك وأنشدوا منه .
بين ذراعي وجبهة الأسد : أي بين ذراعي الأسد وجبهته(١) .

رأي الطبري :

قال : قرأ أهل الشام « وكذلك زين بضم الزاي لكثير من المشركين قتل بالرفع ، أولادهم بالنصب ، شركائهم بالخفض ، بمعنى : وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض . . وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح — وقد روي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ ما ذكرت من قراءة أهل الشام ، رأيت رواة الشعر ، وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه ، وذلك قول قائلهم :

فزججتها متكمنا

زج القلوصَ أبي مزاده

---

(١) إعراب القرآن ص ١٦٨ مخطوط رقم ٥٢٨ — تفسير دار الكتب — وهذا الكتاب منسوب للزجاج منه بريء كما سنبين في الباب الثالث أن شاء الله .

والقراءة التي لا أستجيز غيرها « وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » بفتح الزاي من زين ، ونصب القتل بوقوع زين عليه ، وخفض أولادهم باضافة القتل اليهم ، ورفع الشركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل(١) .

رأي الزمخشري :

قال : « قتل أولادهم شركائهم » برفع القتل ونصب الأولاد ، وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء ، والفصل بينهما بغير ظرف .

ثم قال متحدثا عن ابن عامر صاحب هذه القراءة : والذي حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف « شركائهم » مكتوبا بالياء ، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أقوالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب(٢) .

تعقيب :

ويعقب أبو حيان على الزمخشري بقوله :

« وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت .

وأعجب لسوء ظن الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم وفهمهم ، وديانتهم » . ثم قال : وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : هو غلام — إن شاء الله — أخيك فالفصل بالمفرد أسهل .

وقد استدل أبو حيان في رده على الزمخشري بقول أبي الفتح إذا اتفق شيء من ذلك نظر في حال العربي ، وما جاء به ، فإن كان فصيحاً

(١) تفسير الطبري جـ ٨ ص ٣١ .
(٢) البحر المحيط جـ ٤ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

وكان ما أورده يقبله القياس فالأولى أن يحسن الظن به، لأنه يمكن أن يكون ذلك وقع إليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها . ثم استدل أخيراً بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور . « ما انتهى اليكم مما قالته العرب إلا أقله ، ولو جاءكم لجاءكم علم وافر وشعر كثير (١) .

رأي السفاقسي :

ينقل السفاقسي رأي أبي حيان في البحر الذي سبق ذكره . ثم قال :

أنا نقوى ذلك بالنقل والمعنى ، فأما النقل فوروده في أبيات كثيرة أنشدها ابن مالك في شرحه التسهيل منها :

عتوا(٢) إذ أجبناهم إلى السلم رأفة
فسقناهم سوق البغاثَ الأجادلِ

ثم قال :

وأنشد الأخفش(٣) .

فزججتها بمزجة
زج القلوص أبي مزاده

وأنشد ثعلب قول الشاعر :

لئن كان النكاح أحل شيئاً
فإن نكاحها مطرِ حرام

بجر مطر وهو اسم رجل .

وجاء منه في اسم الفاعل قراءة بعض السلف رضي الله عنهم :

---

(١) البحر المحيط ج ٤ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ بتصرف .

(٢) عتوا : أفسدوا ، وإذ بمعنى حين ، الأجادل : جمع أجدل : طائر ، البغات : طائر ضعيف يصاد ، ولا يصاد . (شرح الشواهد للعيني ج ٢ ص ٢٧٦ . قهامش شرح الأشموني ط الحلبي .

(٣) اعزجه : رمح قصير كالمزراق ، وقد لحن من فتح ميمها ، وزججت الرجل إذا طعنته بالرمح (العيني) في الموضع نفسه .

« فلا تحسبن الله مخلف وعدَهُ رسلِه »(١) .

وفي الحديث : هل أنتم تاركو لي صاحبي ، ففصل بالجــــار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله .

وأما المعنى فمن أوجه ثلاثة ، ذكرها ابن مالك :

أحدها كون الفاصل فضله فإنه بذلك صالح لعدم الاعتداد به .

الثاني : أنه غير أجنبي يعني الفاصل ، لأنه معمول للمضاف وهــو المصــــدر .

الثالث : أن الفاصل مقدر التأخير لأن المضاف إليه مقدر التقــــديم ، لأنه فاعل في المعنى ، حتى إن العرب لو لم تستعمل مثــــل هذا الفصل ، لاقتضى القياس استعماله ، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً . . وإذا كانوا قد فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة في قول بعض العرب : هو غلام — إن شاء الله — أخيك ، فالفصل بالمفرد أسهل(٢) .

هذه آراء مشاهير النحاة في قراءة ابن عامر ، جماعة يؤيدون القراءة ، وآخرون يرفضونها .

ولست أدري لمَ يقف النحاة المعارضون من قراءة ابن عامر هــذا الموقف ؟ وابن عامر عربي قح كما يقول أبو حيــــان ، وابن عامر عاش في عصر الاحتجاج ، فلو فرض أن ابن عامر كان شاعراً لاحتج بشعره ، ولو كان خطيبا لاعتمد على خطبته ، ولو قال مثلا ، لكان دليلا يحتــج به ، ذلك لأنه توفي سنة ١١٨هـ(٣) .

فقراءة ابن عامر أجدر بالقبول ، وأحق بالأخذ من هذا الشعر الذي قاسوا عليه وأخذوا به ، ولم تكن قراءة ابن عامر ليس لها نظائر — فكمــا قدمت — لها نظائر في الشعر وفي الحديث ، وفي كلام العرب .

---

(١) ابراهيـــم : ٤٧ .
(٢) إعراب القرآن للسفاقسي ، مخطوط رقم ٢٢٢ تفسير .
(٣) انظر : اعجاز القرآن للرافعي ص ٥١ .

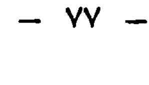

ولا أريد أن أكرر أن اللغة ليست وقفا على مجموعة من النصوص التي لم تقم على استقراء كامل ، واستيعاب دقيق .

٤ - « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ »(١)

رأي الزجاج :

قال : والقراءة الجيدة نصب الارحام ، المعنى : واتقوا الأرحام أن تقطعوها . فأما الجر في الأرحام فخطأ في العربية ، لا يجوز إلا في اضطرار شعر وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تحلفوا بآبائكم ، فكيف يكون تتساءلون به وبالرحم على ذا .

ثم قال : واجماع النحاة أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسمٍ مضمر في حال الجر إلا بإظهار الجار ، يستقبح النحويون : مررت به وزيدٍ ، وبك وزيدٍ إلا مع اظهار الخافض حتى يقولوا بك وبزيد ، فقال بعضهم : لأن المخفوض حرف متصل غير منفصل فكأنه كالتنوين في الاسم فقبح أن يعطف باسم يقوم بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه(٢) .

رأي ابن جني :

أما ابن جني فإنه دافع عن هذه القراءة ، ولم يكن كالزجاج ينكرها ويرفضها ، وقد أنكرها أيضاً أستاذ الزجاج وهو المبرد وهنا تجد ابن جني يتولى الدفاع بحرارة عن هذه القراءة .. قال :

« ليست هذه القراءة عندنا من الابعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها وذهب إليه أبو العباس(٣) . ويعنى بأبي العباس المبرد ، وذلك أن المبرد تعرض لهذه القراءة في كتابة الكامل فقال :

---

(١) النساء ١ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ورقة ٢ مخطوط رقم ١١١ م - تفسير .

(٣) الخصائص جـ ١ ص ٢٨٥ .

وقراءة حمزة : «الذي تساءلون به والأرحام» بالجر ، وهـــذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه الشاعر كما قال :

فاليوم قربت تهجـــونا وتشتمنا(١)
فاذهب فما بك والأيـــامِ من عجب(٢)

ويخرج ابن جني هذه القراءة تخريجا قويا قائما على أسس متينـــة ودعائم ثابتة يقـــول :

« لحمزة أن يقول لأبي العباس : انني لم أحمل الأرحام عـــلى العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت : وبالأرحام ، ثم حذف الباء لتقدم ذكرها كما حذفت لتقدم ذكرها في نحو قولك : بمن تمرر امرر ، وعلى من تنزل أنزل ، ولم يقل أمرر به ، ولا أنزل عليه ، لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما(٣) .

رأي الزمخشري :

قال الزمخشري : والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس بسديد ، لأن الضمير المتصل متصل كاسمه ، والجار والمجرور كشيء واحد ، فكانا في قولك : مررت به وزيد ، وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال ، فلمـــا اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة ، فلم يجزْ ، ووجب تكرير العامل كقولك : مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ، ألا ترى إلى صحة قولك : رأيتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لا أنه لم يتكرر . وقد تمحل بصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار . ونظـــيرها :

« فما بك والأيامِ من عجب »(٤) .

---

(١) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد جـ ٢ ص ٧٤٩ تحقيق الدكتور زكي مبارك .

(٢) من أبيات الكتاب ولم ينسب إلى قائل معين (العين) .

(٣) الخصائص جـ ١ ص ٢٨٥ .

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل جـ ١ ص ٣٥٦ .

رأي ابن بعيش :

قال : إن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظرا إلى العطف على المضمر المخفوض(١) .

ثم قال : ويحتمل وجهين آخرين غير العطف على المكنى المخفوض .

أحدهما : أن تكـــون الواو واو قسم ، وهم يقسمون بالأرحام ، ويعظمونها — وجاء التنزيل على مقتضى استعمالهم ، ويكون قوله : «إن الله كان عليكم رقيباً» ، جواب القسم .

والوجه الثاني : أن يكون اعتقدوا أن قبله باء ثانية حتى كأنه قال : وبالأرحام ، ثم حذف الياء لتقدم ذكرها(٢) .

ولم يرتض ابن يعيش موقف المبرد من إنكاره لهذه الروايـــة ، فقال ناقدا رأيـــه :

وقد رد أبو العباس محمد بن يزيد هذه القراءة وقال : لا تحـــل القراءة بها ، وهذا القول غير مرضي من أبي العباس ، لأنه قد رواها أمام ثقة ، ولا سبيل إلى رد نقل الثقة مع أنه قد قرأ بها جمـــاعة من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس والقاسم وإبراهيم والنخعي والأعمش والحســن البصري وقتادة ومجاهد وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها(٣) .

رأي الفخر الرازي :

قال : أما قراءة حمزة فقد ذهب الأكثرون من النحويين إلى أنهـــا فاسدة . قالوا : لأن هـــــذا يقتضي عطف المظهر على المضمر المجرور ، وذلك غير جائز .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج ٣ ص ٧٨ . إدارة الطباعة المنيرية .

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٣ ص ٧٨ — إدارة الطباعة المنيرية .

(٣) المرجع نفسه والصفحة .

واحتجوا على عدم جوازه بوجوه :

أولها : قال أبو علي الفارسي : المضمر المجرور بمنزلة الحرف ، فوجب ألا يجوز عطف المظهر عليه .

ثانيهما : قال علي بن عيسى : إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على المضمر المرفوع ، فلا يجوز أن يقال : اذهب وزيد ، وذهبت وزيد بل يقولون : اذهب أنت وزيد ، وذهبت أنا وزيد مع أن المضمر المرفوع قد ينفصل ، فإذا لم يجز عطف المظهر على المضمر المرفوع مع أنه أقوى من المضمر المجرور بسبب أنه قد ينفصل فلأن لا يجوز عطف المظهر على المضمر المجرور مع أنه البته لا ينفصل كان أولى .

وثالثهما : قال أبو عثمان المازني : المعطوف والمعطوف عليه متشاركان وإنما يجوز عطف الأول على الثاني او جاز عطف الثاني على الأول وها هنا هذا المعنى غير حاصل ، وذلك لأنك لا تقول : مررت بزيد و (ك) ، فكذلك لا تقول : مررت بك وزيد(١) .

وبعد عرضه لهذه الآراء التي صدرت من مشاهير النحاة أدلى برأيه في هذه القراءة فقال :

واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوهاً قوية في دفع الروايات في اللغات ، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه ، بل رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع ، لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهن من بيت العنكبوت .

وأيضاً ، فلهذه القراءة وجهان :

أحدهما : أنها على تقدير تكرير الجار كأنه قيل : تساءلون به وبالأرحام .

---

(١) مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير للإمام محمد الرازي ج ١ ص ١٣١. المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ بتصرف .

وثانيهما : أنه ورد ذلك في الشعر ، وأنشد سيبويه في ذلك :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك والأيامِ من عجب

وأنشد أيضاً :

نعلق في مثل السواري(١) سيوفنا
وما بينها والكعبِ غوط نفانف

والعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع أنهما كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن(٢) .

ولم ينس الفخر الرازي أن ينقد الزجاج في رأيه حيث ادعى فساد هذه القراءة فقال :

واحتج الزجاج على فساد هذه القراءة من جهة المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا بآبائكم » فإذا عطفت الأرحام على المكنى من اسم الله اقتضى ذلك جواز الحلف بالأرحام .

ويمكن الجواب عنه بأن هذه حكاية عن فعل كانوا يفعلونه في الجاهلية لأنهم كانوا يقولون : أسألك بالله والرحم ، وحكاية هذا الفعل عنهم في الماضي لاننا في ورود النهي عنه في المستقبل .

وأيضاً : فالحديث نهي عن الحلف بالآباء فقط ، وها هنا ليس كذلك بل هو حلف بالله أولاً ثم يقرن به بعده ذكر الرحم ، فهذا لا ينال في مداول ذلك الحديث(٣) .

• • •

(١) قال العيني : السواري جمع سارية وهي الاسطوانة ، ونفانف جمع نفنف وهو الهواء بين الساريتين وغوط جمع غائط وهو المطمئن من الأرض .

(٢) مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٣١ .

(٣) درة الغواص في أوهام الخواص ص ٩٥ لأبي محمد القاسم ابن علي الحريري مطبعة الجوائب ، قسطنطينية ط أولى سنة

من هذه الآراء العديدة في قراءة حمــزة نتبين في وضوح وجلاء أن النحويين انقسموا إزاءها فريقين ، مؤيدين ، ومعارضين .

أما المؤيدون فإن لهم من الأدلة ما يجعل آراءهم صحيحة لأن القراءة والأسلوب العربي لا ينكرهـــا .

أما المعارضون ، فقـــد خانهم التوفيق ، ولم يكن المبرد وتلاميذه كالزجاج أو الزمخشري ممن ينزعون نزعة في هذه القراءة محيطين بلغات العرب ، وبكل ما قالوا وكان الأجدر بهم أن يسلموا بهذه القـــراءة ، لأنها قراءة متواترة لا سبيل إلى إنكارها ، ولم يكن هناك ما يدعـــو إلى أن يقول المبرد بصددها « لو أني صليت خلف امام يقرؤها لقطعت صلاتي(١)

هذا ، ولم يسلم المبرد من نقد الإمام اللغـــوي الحريري حينما أنكر هذه القراءة — قال الحريري : هذا من جملة سقطاته ، وعظيم هفواته ، فإن هذه القراءة من السّبع المتواترة وقد وقع في ورطة ، وقـــع في مثلهـــا بعض النحاة بناء على أن القراءات السبع عندهم غير متواترة ، وأنه يجوز أن يقرأ بالرأي ، وهو مذهب باطل ، وخيال فارغ ، فإنه لا يشك عاقـــل في تواترها فيما ليس من قبيـــل الأداء عند ابن الحـــاجب على مـــا فيـــه(٢) .

٥ — « ولكم فيها معـــايش »(٣) .

رأي مكـــي :

قال : معايش جمعه مَعيْشةَ ، ووزنه مفاعل، ووزن معيشة مَفْعَلَة ، وأصلها مَعْيَشَة ثم ألقيت حركة الياء على العين والميم زائدة لأنه من العيش ، فلا يحسن همزها لأنها أصلية ، كان أصلها في الواحد الحركـــة ، ولو

---

(١) المرجع نفسه والصفحة .
(٢) المرجع نفسه والصفحة .
(٣) الأعـــراف ١٠ .

كانت زائدة أصلها في الواحد السكون لهمزتها في الجمع نحو سفائن ، واحدها سفينة على فعيلة ، فالياء زائدة أصلها السكون ــ وكذلك يهمز في الجمع إذا كان موضع الياء ألف أو واو زائدتين نحو عجائز ، ورسائل ، لأن الواحد عجوز ورسالة .

وقد روى خارجة عن نافع بهمز معائش ومجازه أنه شبه الياء الأصلية بالزائدة ، فأجراها مجراها وفيه بعد ، وكثير من النحويين لا يجيزه(١) .

رأي ابن جني :

قبل أن يذكر ابن جني رأيه في هذه القراءة يعرض لرأي أبي عثمان المازني مبينا ماذا يرى في هذه القراءة ؟ فيقول :

قال أبو عثمان : فأما قراءة من قرأ من أهل المدينة « معائش » بالهمز فهي خطأ ، فلا يلتفت اليها ، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم ولم يكن يدري ما العربية . . ؟ وله أحرف يقرؤها لحنا نحوا من هذا(٢) .

ثم يدلي أبو الفتح ابن جني برأيه في هذا الموضوع فيقول :

قد اختلفت الرواية عن نافع فأكثر أصحابه يروي عنه معايش بلا همز والذي روي عنه بالهمز خارجة بن مصعب . وإنما كان همزها خطأ عنده لأنها لا تخلو من أن تكون جمع معاش ، أو معيشة ، أو معيش ، فقد قال رؤبة :

* إليك أشكو شدة المعيش *

يريد المعاش وكل واحد من هذه عينه متحركة في الأصل ، فأصل معاش معيش (بسكون العين وفتح الياء) وأصل معيشة معيشة (بسكون العين وكسر الياء) أو معيش ،على مذهب الخليل .

(١) تفسير مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ورقة ٦٣ مخطوط رقم ٢٣٢ – تفسير .
(٢) المنصف لابن جني ج ١ ص ٣٠٧ .

وأصل مَعِيشٍ مَعْيِش مكسور العين ليس غير ، لأنه ليس في الآحاد اسم على مفعُل بضم العين .

ثم قال : وإذا كان الأمر كذلك فحق معاش ومعيش ومعيشة ألا يهمز في الجمع ، لأنه قد كانت عينه متحركة في الأصل فإذا احتاج إلى حركتها في الجمع حركها ، ولم يقلبها واحتملت الحركة لأنها قوية وهي من الأصل ، وقد كانت متحركة في الواحد ، وإنما يهمز في الجمع حروف المد واللين التي لاحظ لها في الحركة في الواحد نحو ألف رسالة وياء صحيفة وواو عجوز . إذا قلت : رسائل ، وصحائف ، وعجائز .

ثم قال : فأما قول العرب : مصائب فغلط لأن الياء في مصيبة عين الفعل وهي منقلبة عن واو ، وأصلها مصوبة (بسكون الصاد وكسر الواو) ، وأصلها الحركة ، وقياسها مصاوب (١) .

رأي ابن خالويه :

أما ابن خالويه فجرى في الطريق الذي جرى فيه الناقدون لهذه القراءة فقال :

من همز هذه الياء فقد لحن ، وقد روى خارجة عن نافع همزه وهو غلط ، وحدثني أحمد عن علي عن أبي عبيد أن الأعرج قر معائش بالهمز (٢) .

رأي ابن الأثير :

نقل القلقشندي في « صبح الأعشى » رأي ضياء الدين بن الأثير في « المثل السائر » فقال : ضياء الدين بن الأثير في المثل السائر « ومن العجب أن يقال : إنه لا يحتاج إلى معرفة التصريف وهذا نافع بن أبي نعيم ، وهو من أكبر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأناً قد قال في معايش: معائش

---

(١) المنصف جـ ١ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢) اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه . مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٤١ م ص ٤٩ .

بالهمزة ، وهذه اللفظة مما لا يجوز همزه بإجماع من علماء العربية لأن الياء فيها ليست مبدلة من همزة، وإنما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع يكون بعد ألف(١) الجمع المانع من الصرف ، ويكون بعدها حرف واحد ، ولا يكون عينا نحو سفائن .

ولم يعلم نافع الأصل في ذلك ، فأخذ عليه ، وعيب عليه من أجله وذلك أنه اعتقد أن معيشة على وزن فعيلة وتجمع على فعائل ، ولم ينظر إلى أن الأصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة ، لأن أصل هذه الكلمة من عاش التي أصلها عيش على وزن فعل ، ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنتقل حركة العين إلى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال : معيوش به ، كما يقال : مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال : معيش به ، كما يقال : مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة(٢) .

وبعد ، فإن نافع بن نعيم لم تنسب إليه وحده هذه القراءة فقد نسبت أيضاً إلى : ابن عامر وقرأ بها أيضاً زيد بن علي والأعمش والأعرج(٣).

وإذا كان نافع بن نعيم لم يدر ما العربية ، فهل كان ابن عامر ، وزيد بن علي والأعمش والأعرج لا يدرون ما العربية كذلك ؟ وإذا لم يدر هؤلاء ما العربية ، فمن يدريها ؟

وقد كان الفراء يحس بأن تخطئة نافع غير مقبولة ، لأن العرب فعلت ذلك وخرجت عن المقاييس في كثير من المسائل وعلينا أن نقبل هذه الرواية كما قبلنا جمع « مسيل(٤) الماء أمسلة شبه بفعيل وهو

---

(١) أي التي تكون الهمزة بدلا منها (هامش) .

(٢) صبح الأعشى ج ١ ص ١٧٨ ، ١٧٩ للشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي ط دار الكتب سنة ١٩٢٢ م .

(٣) حاشية ابن جماعة ج ١ ص ٢٩٠ .

(٤) وذلك أن أفعله جمع لكل اسم مذكر رباعي ثالثة مدة : نحو رغيف أو أرغفة وقذال وأقذلة وعمود وأعمدة (شرح ابن عقيل) ج ٤ ص ٣٢٤ تحقيق الاستاذ محمد محي الدين .

مفعل وقد همزت العرب المصائب ، وواحدتها مصيبة ، شبهت بـ « فعيلة » لكثرتها في الكلام(١) .

٣ ـ القراءات في ضوء الأصول النحوية والآراء والتخريجات :

أ) هناك قراءات استخدمها النحاة لتقوية الأصول النحوية ، أو تعزيز الآراء الفردية .

١ ـ فمن القراءات التي وردت على الأصل وجاء الاستعمال بخلافها قراءة من قرأ « ولبثوا في كهفهم ثلاثمائةِ سنين »(٢) بإضافة ثلاثمائة إلى سنين .

وقد قال سيبويه : إن هذا العدد أعني مائه إلى الألف يضاف إلى المفرد دون الجمع ، وإنما جاء هذا هكذا تنبيها على أن الأصل أن يضاف إلى الجمع وإن جاء الاستعمال بخلافه كقوله : « استحوذ عليهم الشيطان »(٣) والقياس استحاذ ، وكقولهم : عسى الغوير أبؤسا(٤) والقياس أن يكون خبر عسى أن مع الفعل(٥) .

٢ ـ ويفضل الزمخشري قراءة ابراهيم بن أبي عبلة لأنها أقوى في باب الأصول النحوية من غيرها ، ذلك لأن الحسن البصري يقرأ « الحمد لله »(٦) بكسر الدال لاتباعها اللام ، وإبراهيم يقرأ الحمد لله بضم الله لإتباعها الدال . قال الزمخشري : وأشف القراءتين قراءة ابراهيم

---

(١) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٢) الكهف ٢٥ .

(٣) المجادلة ١٩ .

(٤) مثل يضرب للرجل يقال له : لعل الشر جاء من قبلك . والغوير : تصغير غار والأبؤس جمع بؤس وهو الشدة .

وأصل هذا المثل فيما يقال من قول الزباء حين قالت لقومها عند رجوع قصير من العراق ومعه الرجال وبات بالغوير على طريقه: «عسى الغوير أبؤسا» أي لعل الشر يأتيكم من مثل الغار (مجمع الأمثال للميداني جـ ٢ ص ١٧ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد)

(٥) إعراب القرآن المنسوب خطأ إلى الزجاج ورقة ٣١ مخطوط رقم ٥٢٨ ـ تفسير دار الكتب .

(٦) الفاتحة ١ .

حيث جعـــل الحركة البنائيـــة تابعة للإعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن(١) .

٣ – وقد تجيء القراءة قوية في القياس ، وإن كانت قليلـــة في الاستعمال كقراءة بعضهم في الفرقان « ويـــوم يحشرهم »(٢) بكســـر الشين ، ذكر ابن عطية أن ذلك قليل في الاستعمال قـــوي في القياس لأن يفعل بكسر العين في المتعدى أقيس من يفعل بضم العين(٣) .

(ب) – ١ – ومن القراءات التي وردت واستخدمت في تصحيح الآراء وتقويتها : قراءة ابن مسعود رضي الله عنه « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ويقولان ربنا »(٤) قال أبو الفتح في هذا دليل على صحة ما يذهب إليه أصحابنا من أن القول مراد مقدر . . وأنه ليس كما يذهب الكوفيون في أن الكلام محمول على معنـــاه ، ودون أن يكـــون القول مقدرا معه(٥) .

٢ – والقراءة تقـــوى رأيا في الأعراب ، وذلك أن الزمخشري يعرب أشد من قوله تعالى « فهي كالحجارة أو أشد قسوة »(٦) معطوفا على الكاف على معنى أو مثل أشد قسوة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

قال الزمخشري : وتعضده قراءة الأعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة(٧) .

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٨ .
(٢) الفرقان ١٧ .
(٣) مجلة المجمع اللغوي الجزء الثاني مارس سنة ١٩٣٥ من مقال : القاموس ومذهب أبي زيد في المضارع ص ٢٢٤ .
(٤) البقـــرة ١٢٧ .
(٥) المحتسب لابن جنى ص ١١٢ ، ص ١١٣ مخطوط رقم ٣٧٩ تفسير (بتصرف) .
(٦) البقـــرة : ٧٤ .
(٧) الكشاف جـ ١ ص ١١٦ .

٣ ـ والقراءة قد تبين رأيا نحويا وتقويه ، وذلك أنـه كما قال السيوطي في مسألة دخول الفاء في الخبر بعد المبتدأ (أن يكون المبتدأ غير أل من الموصلات ، وصلته ظرف أو مجرور ، أو جملة تصلح للشرطية ، وهي الفعلية غير الماضية ، وغير المصدرة بأداة شرط أو حرف استقبال كالسين وسوف ولن أو بعد أو ما النافية . . ثم قال السيوطي : بعد أن ذكر الأمثلة لهـذه الشروط : ومثال الجملة : قوله تعالى « وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم »(١) ويدل على أن ما موصولة سقوط الفاء في قراءة نافع وابن عامر)(٢) .

(ج) ومن القراءات التي استخدمت في تقـوية التخريجات النحوية وتصحيحها قراءة أبي وذلك أن ابن الأثير في « المثل السائر » يقول في قوله تعالى :

« فأجمعوا أمركم وشركاءكم »(٣) وهو لأمركـم وحده ـ يقصد أجمعوا وإنما المراد : أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لأن معنى أجمعوا من أجمع الأمـر إذا نـواه ، وعزم عليـه .

وقد قرأ أبي رضي الله عنه « فأجمعوا أمركم ، وادعوا شركاءكم » وهذا دليل على ما أشرت إليه ، وكذلك هو مثبت في مصحف عبدالله بن مسعود رضي الله عنه(٤) .

٤ ـ قراءات أثرت في الدراسات النحوية ، ومرجعها إلى اللغات :

هناك قراءات نشأت عن لهجات العرب التي نزل ببعضها القـرآن الكريم كما سبق بيـانه ولكن النحاة لم ينظروا إليها من خلال هـذه

(١) الشورى ٣٠ .
(٢) الهمع ج ١ ص ١٠٩ .
(٣) يونس ٧١ .
(٤) المثل السائر لضياء الدين المعروف بابن الأثير ج ٢ ص ٩٥ .

الحقيقة ، ومن هنا جاء بعضها على خلاف قياس النحاة مما أدى إلى احتدام الجدل والنقاش بينهم في محيطها .

من هذه القراءات :

١ — قراءة « ما ودعك ربك وما قلى »(١) بالتخفيف وهذه القراءة قرأ بها (عروة بن الزبير وابنه هشام ، وأبو حيوة ، وابن أبي عبلة)(٢) .

وهذه القراءة ، لأنها خالفت أصول النحويين أنكرها معظمهم حتى أنهم وصفوها بالشذوذ :

يقول ابن جني في الخصائص :

(ان كان الشيء شاذاً في السماع ، مطرداً في القياس ، تحاميت ما تحامت العرب من ذلك : وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله . من ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم لم يقولوهما ، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما) .

ثم قال : فأما قول أبي الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله في الحب حتى ودَعَه(٣)

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم : ما ودَعَك ربك وما قلى(٤) .

ورجعت إلى كتب اللغة لأجد عندها ما يشفي غليلي ، ويروي ظمئي

---

(١) الضحى ٣ .

(٢) البحر المحيط جـ ٨ ص ٣٨٥ .

(٣) قال الزبيدي : والذي في العباب أنه لأنس بن زنيم الليثي ، وروى الأزهري عن ابن أخي الأصمعي أن عمه أنشده لأنس هو : ليت شعري عن خليلي . . الخ .
قلت : والقائل الزبيدي : لأبي حاتم أن الرواية في قول أنس ابن زنيم قاله في الوعد ومن قال في الود فقد غلط ، وقال : كأنه كان وعده شيئاً ويدل لهذه الرواية البيت الذي بعده :

ولا يكن برقك برقاً خلبا إن خير البرق ما الغيث معه

تاج العروس جـ ٥ ص ٥٢٤ .

(٤) الخصائص جـ ١ ص ٩٩ .

في هذه المسألة . رجعت إلى المزهر فوجدته ينقل من الخصائص نقلاً حرفيًّا ، فعجبت من السيوطي وهو الإمام الجليل كيف لا يكون له في هذه المسألة رأي . وجدته يقول ما نصه :

« فإن كان الشيء شاذاً في السماع ، مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك — وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله . من ذلك امتناعك من وذر وودع لأنهم لم يقولاهما ، ولا غرو عليك أن تستعمل نظيرهما »(١) .

وتركت المزهر والتجأت إلى لسان العرب ، فوجدته يعتمد على رأي ابن جني في هذه المسألة قال :

« وسائر القراء قرءوا : ما ودعك بالتشديد . وقرأ عروة بن الزبير «ما ودعك ربك» بالتخفيف والمعنى فيهما واحد أي ما تركك ربك . .

وقال ابن جني : إنما هذا على الضرورة ، لأن الشاعر إذا اضطر جاز له أن ينطق بما ينتجه القياس ، وان لم يرد به سماع ، وأنشد قول أبي الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله في الحب حتى ودعه(٢)

ويممت وجهي إلى كتب التفسير ، وتخيرت واحداً منها اشتهر بالقراءات والدفاع عنها ، وتخريجها تخريجاً نحوياً ، ذلك هو « البحر المحيط » وقلت : لعل مؤلفه وهو نحوي — يضع النقاط على الحروف في هذه المسألة ويريح أنفسنا ، لنطمئن إلى هذه القراءة ، ولكني وجدت شيخ النحاة لم يزد شيئاً عن قول ابن جني .

يقول أبو حيان :

واستغنت العرب في فصيح كلامها بترك عن ودع ، ووذر ، وعن

(١) المزهر جـ ١ ص ٢٢٩ .
(٢) لسان العرب جـ ١٠ ص ٢٦٣ . المطبعة الأميرية سنة ١٣٠١ هـ

اسم فاعلهما بتارك ، وعن اسم مفعولهما بمتروك ، وعن مصدرهما بالترك ، ثم قال : وقد سمع ودع ، وذر .

قال أبو الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله في الحب حتى ودعه

وقال آخر :

وثم ودعنا آل عمرو وعامر
فرائس أطراف المثقفة السمر(١)

وهممت أن أناقش هؤلاء النحاة كيف يستغنون عن ماضي ودع بترك وهم يعترفون صراحة بأنها سمعت ، واللغة مصدرها السماع لا القياس ، وبدأت أثيرها معركة ولكني توقفت لأني وجدت السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي قد تولى هذه المعركة بنفسه فكفاني مئونة النقاش ، وأشهد الله أن الرجل قال ما في نفسي ، بل أكثر مما في نفسي ، ومن الأمانة العلمية أن أترك له المجال ليرد كيد النحاة في نحورهم في هذه المسألة .

قال أبو حيوة :

وقرىء شاذاً « ما ودعك ربك وما قلى » بالتخفيف أي ما تركك وهي قراءة عروة ومقاتل . وقرأ إبو ابراهيم ، وابن أبي عبلة ، ويزيد النحوي ، والباقون بالتشديد ، والمعنى فيهما واحد وهي قراءته صلى الله عليه وسلم ، فيما روى ابن عباس رضي الله عنهما . وجاء في الحديث « لينتهن أقوام عن ودَعهم الجماعات ، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » بعد هذا العرض : ساق حديث ابن جني في هذه القراءة السابق ذكره ثم قال :

قال شيخنا عند قوله : وقد أميت ماضية : قلت هي عبارة أئمة الصرف قاطبة ، وأكثر أهل اللغة ، وينافيه ما يأتي بأثره من وقوعه في

(١) البحر المحيط جـ ٨ ص ٤٨٥ .

الشعر ، ووقوع القراءة به ، فإذا ثبت وروده ، ولو قليـــلا فكيف يدعي فيها الإماتـــة .

قلت : والقائل – المرتضي الزبيدي – وهذا بعينه نص الليث ، فإنه قال : وزعمت النحوية أن العرب أماتوا مصدر يدع ويذر واستغنوا عنـه بترك والنبي صلى الله عليـــه وسلم أفصح العـــرب قد رويت عنـه هذه الكلمة(١) .

٢ – « إنْ الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم »(٢) .

حكى أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني أن سعيد بن جبير قرأ :

« إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثـــالكـــم » بتخفيف إن وكسرها لالتقاء الساكنين ونصب عباداً بالتنوين(٣) ونصب أمثـــالكم ومعنى ذلك أن إنْ في هذه القراءة نافية ، وتعمل عمل (ما) في رفـــع المبتدأ ونصب الخبر ، فهذه القراءة تثبت قاعدة جديدة « إن » النافية ويؤيـــد هذه القراءة أنـــه « سمع من أهـــل العالية : إن أحد خيراً من أحـــد إلا بالعافيـــة »(٤) .

وينقد أبو جعفر النحاس هذه القراءة من ثلاث جهات :

أحدها : أنها مخالفة للسواد .

ثانيهما : أن سيبويه يختار الرفع في خبر إن إذا كانت بمعنى مـــا فيقول : إن زيد منطلق لأن عمل ما ضعيف وإن بمعناها فهي أضعف منها .

والجهة الثالثة أن الكسائي زعم أن إن لا تكاد تأتي في كلام العـــرب بمعنى ما إلا أن تكـــون بعدها إيجاب كما قال الله عز وجل « إن الكافرون إلا في غرور »(٥) .

---

(١) تاج العروس للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي ج ٥ ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ المطبعة الوهبية سنة ١٢٨٧ هـ .
(٢) الأعـــراف ١٩٤ .
(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ورقة ٧٢ نسخة رقم ٤٨ تفسير مخطوط .
(٤) شرح التصريح ج ١ ص ٢٠١ .
(٥) الملك ٢٠ .

وهكذا أثرت المقاييس النحوية في عقلية أبي جعفـــر فدفعته إلى نقد هذه القراءة لأنها مخالفة لمقاييس سيبويه والكسائي ، كأن مقـــاييس سيبويه تخضع لها لغات العرب جميعا وهذا تحكم لا يقوم على سند ، وكان الأجـــدر به أن يقول أن إن النافية في لغـــة أهل العالية تعمل عمل ما ، ويريحنا من هذا النقد الذي أوحت به مقاييس سيبـــويه أو غيره مـــن النحـــاة .

٣ – « لننزعن من كل شيعة أيهم أشد »(١) .

قال ابن الأنبـــاري :

(وأما قراءة من قرأ : أيهم بالنصب فإنه نصبهـــا بلننزعن ، وجعلها معربة ، وهي لغة لبعض العرب .

قال أبو عمر الجـــرمي :

خرجت من الخندق . . يعني خنـــدق البصرة – حتى صرت إلى مكـــة لم أسمع أحداً يقول : اضرب أيهُم أفضل ، أي كلهم ينصبون(٢) .

٤ – صرف مالا ينصرف :

قال أبو القاسم الزجاجي :

« وكثير من العـــرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا أفعل منك » .

قال : وعلى هذه اللغة قرىء : « قواريرًا قواريرًا من فضة(٣) » بتنوينهما جميعا فإذا نون بانما يرد إلى أصله(٤) .

وبين » جبر ضومط » أن صرف مالا ينصرف يجيء لغير ضرورة ، بل إن المقام البلاغي قد يتطلب ذلك . يقول : وكذلك الأسمـــاء غـــير

---

(١) مـــريم ٦٩ .
(٢) اعراب القرآن لابن الأنباري ورقة ٢٥١ مخطوط ٦٤٤ تفسير .
(٣) الإنسان ١٥ ، ١٦ .
(٤) الأمالي لأبي القاسم الزجاجي ص ٥٥ ط أولى ١٣٢٤ مطبعة السعادة .

المنصرفة . فإنها تجر بالفتحـــــة ولا تنون للثقل ، فإذا احتيج إلى الحركة والتنوين كان للمحتاج أن يرجع إلى الأصل . ثم قال : وجـــاء في أفصح كلام عربي منثور نقل الينا تنوين « سلاسل »(١) لغير ما حاجـــة لأن الثقل خصوصية في اللفظة يدركها الذوق ولو ترك قارىء التنوين في الآيـــة لاختل أيضاً حسن الرّصف اختلالاً شديداً كما لا يخفي عـــلى ذي ذوق(٢).

٥ - « قال السيوطي في الهمع » :

أما الحجازيون فلغتهم ضم هاء الغائب مطلقاً وبها قرأ حفص ومـــا أنسانيه » بالضم(٣) « بما عاهد عليهُ الله »

وقرأ حمزة « لأهلُه امكثوا »(٤) ، (٥)

٦ - « سنفرغ لكـــم »(٦)

قال ابن خالويه في الحجة :

يقرأ بالنون مفتوحة ، وضم الراء وبالياء مضمومة ، وفتح الراء . .

ثم قال :

فاما ضم الراء وفتحها مع النون فلغتان فصيحتان(٧) .

٧ - قراءات بنيت عليها قواعد نحـــوية :

هناك قراءات أثرت في بناء القـــواعد النحوية ، بل بنيت عليهـــا عدة قواعـــــد نحوية جديدة .

وها هي هي ذي أهم المسائل النحوية التي قامت على أساس مـــن القراءات :

١ - إن النافيـــة تعمل عمل ان بقراءة ابن مسعود وقد سبقت الاشارة اليهـــا .

---

(١) الإنسان ٤ .
(٢) فلسفة اللغة العربية وتطورها لجبر ضومط ص ١٥١ مطبعة المقتطف سنة ١٩٢٩ م .
(٣) الكهـــف ٦٣ .
(٤) طـــه ١٠ .
(٥) الهمع جـ ١ ص ٥٨ ، ٥٩ .
(٦) الرحمن ٣١ .
(٧) الحجة لابن خالوية ورقة رقم ١٥٠ مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب - دار الكتب . طبع وأعيد طبعه بدار الشروق - بيروت بتحقيق المؤلف

٢ - النصب بلم :

« حكى اللحياني عن بعض العرب : أنه ينصب بلم . وقال ابن مالك في شرح الكافية : زعم بعض الناس أن النصب بلم لغة ، اغترارا بقراءة بعض السلف « ألم نشرحَ لك صدرك »(١) بفتح الحاء . ويقول الراجز :

في أي يومي من الموت أفِرْ(٢)
أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر

وهو عند العلماء محمول على أن الفعل مؤكد بالنون الخفيفة ففتح لها ما قبلها ثم حذفت ونونت(٣) .

وابن مالك في قوله هذا لم يكن موفقاً ، فاحتمال التأويلات البعيدة والتخريجات التي لا تقوم على سند أمر يعسر النحو ، ويضيق مسالكه ، والأمر في هذه القراءة واضح وهو أن بعض العرب ينصب بلم كما حكى اللحياني . على أن الأشموني نقد ابن مالك في قوله هذا . فقال ناقدا لتأويل ابن مالك وتخريجه :

« وفيه شذوذان : توكيد المنفى بلم ، وحذف النون لغير وقف ، ولا ساكنين »(٤) .

٣ - زيادة قاعدة جديدة في مواضع النصب بعد الفاء والواو :

قال السيوطي في الهمع :

« وزاد ابن مالك في مواضع النصب بعد الفاء والواو النصب بعدهما بعد حصر كقراءة ابن عامر « إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » بالنصب(٥) .

---

(١) الشرح ١ .
(٢) قال العيني : قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمثل به (العيني) .
(٣) شرح الأشموني ج ٤ ص ٨ .
(٤) شرح الأشموني ج ٤ ص ٨ .
(٥) الهمع ج ١ ص ١٦ .

٤ ـ حمل ان الجازمة على لو في رفع الفعل بعـــدها :

قال ابن مالك :

فمن رفع الفعل بعد أن حملا على لو ، قراءة طلحة « فإن ماتــرَيْن من البشر أحدا(١) » بسكون الياء وتخفيف النــون ، فأثبت نون الرفع في فعل الشرط بعد إن موكدة بما حملاً لها على لو(٢) .

٥ ـ جواز تأنيث المذكر إذ أوّل بمؤنث بقراءة أبي العالية :

قال ابن مالك :

من ذلك قوله تعالى : « من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثــالها »(٣) فأنث عدد الأمثال وهي مذكرة لتأويلها بحسنات . ومثله قراءة أبي العالية « لا تنفع نفساً إيمانهُا »(٤) بالتاء والفعل مسند إلى الإيمــان ، لكنه في المعنى إطاعة وإنابة ، فكان ذلك سبباً اقتضى تأنيث فعله(٥) .

ونرى ابن مالك حينما يعتمد على قراءة أبي العاليـــة في جواز تأنيث المذكر إذا أوّل بمؤنث ينقد ابن جنــي في توجيهه لقراءة أبي العالية لأنه خفى عليه بعض أسرار هذا التوجيه .

يقول ابن مالك : ولا يجوز أن يكون تأنيث فعــل الإيمان لكون الإيمان سرى إليه تأنيث من المضاف إليه ، كما سرى من الريــاح إلى المر في قول الشاعر :

مشين كما اهتزت رمــاح تسفهت
أعاليهــا مر الرياح النــواسم(٦)

---

(١) مريم ٣٦ .
(٢) شواهد التوضيح ص ١٩ .
(٣) الأنعــام ١٦٠ .
(٤) الأنعــام ١٥٨ .
(٥) المرجع نفسه ص ٨٥ .
(٦) من أبيات الكتاب : قائله ذو الرمة . قال عبدالمنعم الجرجاوي الشاهد في قوله تسفهت حيث أنثه مع أن فاعله مذكر وهو مر ـ لأنه اكتسب من المضاف إليه وهو الرياح لأنه جمع وكل جمع مؤنث وقال الشنتمري :وصف نساء إذا مشين اهتززن في مشيهن وتثنين فكأنهن رماح نصبت فسرت عليها الرياح فاهتزت وتثنت ، هامش (شواهد التوضيح) .

لأن سريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف مشروط بصحة الاستغناء به عنه كاستغنائك بالرياح عن المرّ في قولك : تسفّهتْ أعاليها الرياح ، وذلك لا يتأتى في « لا تنفع نفسا إيمانها » لأنك لو حذفت الإيمان وأسندت (تنفع) إلى المضاف إليه لزم إسناد الفعل إلى ضمير مفعوله ، وذلك لا يجوز بإجماع ، لأنه بمنزلة قولك: زيداً ظلم ، تريد : ظلم زيد نفسه ، فيجعل فاعل ظلم ضميراً لا مفسر له إلا مفعول فعله ، فتصير العمدة مفتقرة إلى الفضلة افتقاراً لازماً ، وذلك فاسد ، وما أفضى إلى الفاسد فاسد .

قال ابن مالك :

وقد خفي هذا المعنى على ابن جني فأجاز في المحتسب أن تكون قراءة أبي العالية من جنس : تسفهت أعاليها مرّ الرياح وهو خطأ بين والتنبيه عليه متعيّن .

وقد يصح قول ابن جني : بأن يجعل لسريان التأنيث من المضاف إليه إلى المضاف سبب آخر وهو كون المضاف شبيهاً بما قد يستغنى عنه ، فالإيمان وإن لم يستغن عنه في « لا تنفع نفسا إيمانها » قد يستغنى عنه في : سرتني إيمان الجارية ، فيسرى إليه التأنيث بوجود الشبه كما يسرى إليه بصحة الاستغناء عنه(١) .

٦ — حذف الفاء والمبتدأ معاً من جواب الشرط :

قال ابن مالك : فمن وروده قراءة طاووس « ويسألونك عن اليتامى(٢) قل أصاح لهم خير » أي أصاح لهم فهو خير ، وهذا ، وإن لم يصرح فيه بأداة الشرط فإن الأمر مضمن معناها ، فكان ذلك بمنزلة التصريح بها في استحقاق جواب ، واستحقاق اقترانه بالفاء لكونه جملة اسمية(٣) .

---

(١) شواهد التوضيح ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) البقرة ٢٢٠ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

٧ ـ حذف نون الجمع عند اتصال ضمير المتكلم للتخفيف :

قال ابن مالك :

« ومن حذفها لمجرد التخفيف قراءة الحسن « يوم يدعوا كل أناس(١) » وقراءة يحيى بن الحارب الدماري : « قالوا ساحران تظاهرا »(٢) والأصل قالوا : أنتما ساحران تتظاهران فحذف المبتدأ ونون الرفع وأدغم التاء في الظاء(٣) .

٨ ـ تقديم خبر كان عليها :

بقراءة أبي وابن مسعود « وباطلاً ما كانوا يعملون »(٤) .

قال أبو الفتح : باطلا منصوب بيعملون ، وما زائدة للتوكيد فكأنه قال : « وباطلا كانوا يعملون » .

ثم قال : وفي هذه القراءة دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها كقولك : قائماً كان زيد ، وواقفاً كان جعفر .

ووجه الدلالة بين ذلك أنه إنما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل وباطلا منصوب بيعملون والموضع إذاً ليعملون لوقوع معموله متقدما عليه ، فكأنه قال : « ويعملون باطلا كانوا »(٥) .

٩ ـ اللام بمعنى عند :

قال الشيخ خالد في موضع معاني اللام :

« وبمعنى عند كقراءة الجحدري » بل كذبوا بالحق(٦) لما جاءهم « بكسر اللام وتخفيف الميم أي عند مجيئه اياهم(٧) .

---

(١) الاسراء ٧١ .
(٢) القصص ٤٨ .
(٣) شواهد التوضيح ص ١٧٢ .
(٤) الأعراف ١٣٩ .
(٥) المحتسب ورقة ٣٩٩ رقم ٣٧٩ تفسير دار الكتب .
(٦) ق ٥ .
(٧) شرح التصريح ﺣ ٢ ص ١٢ . مطبعة الحلبي .

١٠ – على موافقة للباء بقراءة أبي : في قوله تعالى « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق »(١) أي بأن لا أقول وبذلك قرأ أبيّ (٢) .

وهكذا استطاعت القراءات أن تسهم في بناء القواعد النحوية ، وتحتل مكانها في صرح هذا العلم . وهذه الأمثلة التي قدمتها غيض من فيض تدل دلالة واضحة على أن القراءات أثرت في الدرسات النحوية تأثيراً عظيماً .

٦ – أثر القراءات في المؤلفات النحوية :

لا نستطيع أن نستوعب في هذا المجال الضيق الكتب النحوية التي أثرت فيها القراءات وامتلأت صفحاتها بالتوجيهات التي قيلت فيها ، والآراء التي تعددت حولها لأن ذلك فوق الطاقة التي تفرض عليّ في هذا البحث أن أرسم الطريق وأسجل المظاهر ، وأوضح الخطوط العريضة التي يتطلبها هذا البحث – ويكفى في سبيل ذلك أن نلم ببعض المؤلفات لا كلها لتكون دليلاً ينير الطريق لغيرها .

وسأعرض في هذه النقطة لأول مؤلف نحوي وقع تحت أيدينا ووجه الدراسة النحوية توجيهاً بالغاً وهو كتاب سيبويه .

ولما كان سيبويه بصرياً ، ولا يستطيع الكتاب البصري إلا أن يوضح اتجاهات النحو البصري وحده ، رأيت إنصافاً للحقيقة أن أعرض أيضاً إلى أول مؤلف نحوي كوفي وقع تحت أيدينا ، وكان مصدراً للدراسة النحوية الكوفية وهو كتاب « معاني القرآن للفراء » .

ولما ظهرت القراءات ظهوراً بيناً على مسرح الدراسة النحوية ، وجرى في ركبها النحاة ، يؤيدونها أو يعارضونها ظهرت كتب نحوية مستقلة تدور حول القراءات وحدها معللة موجهة ، مؤيدة موضحة ، رأيت أن أعرض لها ، مستمداً منها ما يخدم الغرض الذي إليه قصدت ،

---

(١) الأعراف ١٠٥ .
(٢) المرجع نفسه ص ١٥ .

والهدف الذي أردت أن أصل إليه . وهذه الكتب التي دارت حول القراءات أهمها :

الحجة لأبي علي الفارسي ، ثم الحجة لابن خالويه ، ثم المحتسب لابن جني ، ثم الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ، وإعراب القراءات الشواذ للعُكْبَريّ . وسأحاول في هذه النقطة أن أعرض هذه المؤلفات في إيجاز عرضاً نتبيّن فيه كيف كانت القراءات ـ تعمل عملها في نحو النحاة . أما ما عدا ذلك من الدراسة المستوعبة لهذه الكتب فإني لا أتعرض لها حتى لا يطول البحث وكل الذي يعنيني منها تأثير القراءات فيها .

١ ـ كتاب سيبويه والقراءات :

تعدد الاستشهاد بالقراءات في كتاب سيبويه في عدة أبواب مختلفة .

١ ـ ففي باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي يبين أن القراءات سنة متبعة . قال :

وقد قرأ بعضهم « وأما ثمودَ فهديناهم(١) » ، إلا أن القراءة لا تخالف ، لأنها السنة(٢).

٢ ـ ويخرج بعض القراءات اعتماداً على قول للخليل فيقول .
وسألته عن قوله عز وجل « وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون(٣) » ما منعها أن تكون كقولك : ما يدريك أنه لا يفعل ؟ . فقال : لا يحسن ذلك في هذا الموضع ، انما قال : وما يشعركم ، ثم ابتدأ فأوجب فقال : إنها إذا جاءت لا يؤمنون ولو قال : وما يشعركم أنها ، كان ذلك عذراً لهم .

---

(١) فصلت ١٧ .
(٢) الكتاب جـ ١ ص ٧٤ .
(٣) الأنعام ١٠٩ .

وأهل المدينة يقولون : أنهـــا ، فقال الخليل هي بمنزلة قول العـــرب : أئت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك ، فكأنه قـــال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون(١) .

٣ – ويرجح قراءة على قـــراءة فيقول في باب لا يكون ، وليس وما أشبههمـــا :

(إذا قلت أتوني إلا أن يكـــون زيد ، فالرفع جيـــد بالغ ، وهو كثير في كلامهـــم لأن يكون صلة لأن ، وليس فيها معنـــى الاستثناء ، وأن يكون في موضـــع اسم مستثنى كأنك قلـــت : لا يأتـــونك إلا أن يأتيك زيـــد .

والدليل على أن يكـــون ليس فيها ها هنا معنى الاستثناء أنّ ليس وعدا وخلا لا يقعن هاهنا . ومثل الرفع قول الله عز وجل :

« إلا أن تكون تجارةٌ عن تراض منكـــم » ، وبعضهم ينصب على وجه النصب في لا يكون والرفع أكثر(٢) .

٤ – ويسوى بين القراءتين ، ولا يلجأ إلى الترجيح والتفضيـــل . فيقول عند الحديث عن إذن :

« واعلم أن ذن إذا كانت بين الفاء والواو وبين الفعل فإنك فيهـــا بالخيار إن شئت أعملتها... وإن شئت ألغيت اذن ... فأما الاستعمال كقولك: فاذن آتيك وإذن أكرمك وبلغنا أن هذا الحرف في بعض المصاحف ، « إذن لا يلبثوا خلفك إلا قليلا »(٣) وسمعنا بعض العـــرب قرأهـــا « واذن لا يلبثوا » . وأما الالغاء فقولك : فاذن لا أجيئك وقال تعـــالى « فإذن لا يؤتون الناس نقيراً(٤) »(٥) .

---

(١) المرجع نفسه جـ ١ ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
(٢) الكتاب جـ ١ ص ٣٧٧ .
(٣) الاسراء ٧٦ .
(٤) النساء ٥٣ .
(٥) الكتاب جـ ١ ص ٤١١ بتصرف .

٥ ـ ويدعم بعض القراءات بالشعر : قال : في باب (أو) متحدثاً عن الآية الكـــريمة « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً »(١) . وبلغنا أن أهل المدينة يرفعـــون هذه الآية . . أو يرسلُ رسولاً فـــكأنـــه ـ والله أعلم ـ قال الله عز وجل : « لا يكلم الله البشر إلا وحيًا أو يرسلُ رسولا ، أي في هذه الحال . . كما تقـــول العرب : تحيتك الضربُ وعتابك السيفُ وكلامك القتلُ ، وقال الشاعر ، وهو عمرو بن معـــدي كرب :

وخيلٍ قـــد دلفت لها بخيـــل
تحيـــــةُ بينهم ضربٌ وجيـــع (٢)

٦ ـ ويخرج احدى القراءات اعتماداً على تخريج بيت من الشعر فيقول في باب ما يحذف منه الفعـــل لكثرته في كلامهم حتـــى صار بمنزلـــــة المثل :

قال : وإنشاد بعضهم للحارث بن نهيك :

ليبك يزيـــد ، ضارع لخصومـــة
ومختبط مما تطيـــــح الطوائـــح

لما قال: ليُبك يزيـــد كان منه معنى لِيبك يزيد ... كأنه قال ليبكـــه ضارع ثم قال : ومثل ليُبك يزيد قراءة بعضهـــم « وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتـــلُ أولادِهم شركاؤهم »(٣) رفع الشركاء على مثـــل ما رفع عليه ضارع (٤) .

٧ ـ ويلجأ إلى القراءة لتقـــوى أصلا من أصول كتابه فيقول في ما يجري من الشتم مجرى التعظيم ، وما أشبهه :

---

(١) الشورى ٥١ .
(٢) الكتاب ج ١ ص ٤٢٩ بتصرف .
(٣) الأنعـــام ١٣٨ .
(٤) الكتاب ج ١ ص ١٤٥ ، ١٤٦ بتصرف .

« وذلك قولك أتاني زيدٌ الفاسقَ ، الخبيثَ — لم يرد أن يكرره ، ولا يعرفك شيئاً تنكره ولكنه شتمه بذلك . وبلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً « وامرأتُهُ حمالةَ الحطب »(١) لم يجعل الحمالة خبراً للمرأة ، ولكنه كأنه قال : أذكر حمالة الحطب شتماً لها ، وإن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره .

وقال عروة بن الصعاليك :

• سقوني الخمر ثم تكتفوني
عداةَ الله من كذب وزور

إنما شتمهم بشيء قد استقر عند المخاطبين(٢) .

٨ — ويستدل بقراءة ابن مسعود في باب ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة :

« وذلك قولك : هذا عبدالله منطلق ، حدثنا بذلك يونس ، وأبو الخطاب عمن يوثق به من العرب .

وزعم الخليل أن رفعه يكون على وجهين : فوجه أنك حين قلت : هذا عبدالله أضمرت هذا ، أو هو كأنك قلت : هذا منطلق ، أو هو منطلقٌ والوجه الآخر أن تجعلهما جميعاً خبراً لهذا كقولك : هذا حلو حامض لا تريد أن تنقض الحلاوة ، ولكنك تزعم أنه جمع الطّعمين .

وقال عز وجل « كلا إنّها لظى نزاعة للشوى » (٣) » وزعموا أنها في قراءة ابن مسعود : « وهذا بعلي(٤) شيخٌ »(٥) .

---

(١) المسد ٤ .
(٢) الكتاب جـ ١ ص ٢٥٢ .
(•) الشاهد فيه نصب العداة على الشتم . وصف ما كان عن فعل قوم امرأته حين احتالوا عليه وسقوه الخمر حتى أجابهم إلى مغاداتها ، وكانت سبية عنده (شرح الشنتمري) .
(٣) المعارج ١٥ ، ١٦ .
(٤) هود ٧٢ .
(٥) الكتاب جـ ١ ص ٢٥٨ .

٩ ـ ولإيمان سيبويه بأن القراءات سنة لا تخالف ذكر أن بعض الآيات تحتمـــل قراءات جيدة ولكنها لم تقرأ . وفي هذا دليل واضـح على أن سيبويه لم يرّد القراءات كمـــا كان يفعل أتباعه البصريون .

يقول في باب من أبواب أنّ :

تقول : جئتك أنك تريد المعروف إنما تريد لانك تريد المعـــروف ، ولكنك حذفت اللام ها هنا كما تحذفها من المصدر إذا قلت :

وأغفر عوراء الكـــريم ادخارَهُ
وأُعرض عن ذنب اللئيـــم تكرّما

أي لادخاره .

وسألت عن قـــوله جل ذكره : « وأن هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكـــم فاتقون(١) » .

فقال : انما هو على حذف اللام كأنه قال : ولأن هـــذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكـــم فاتقون ثم قال سيبويه : ولو قرءوهـــا : وإن هذه أمتكـــم أمة واحدة ، كان جيدا(٢) .

١٠ ـ وقال أيضاً ـ يعني الخليل :

« وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا »(٣) بمنزلة « وأن هذه أمتكم أمة واحدة » والمعنى ، ولأن هذه أمتكم فاتقون ، ولأن المساجـــد لله فلا تدعـــو مع الله أحدا . . ثم قال سيبويه : ولـــو قرئت : وإنّ المساجد لله كان جيداً(٤) .

(١) المؤمنون ٥٢ .
(٢) الكتاب جـ ١ ص ٤٦٤ بتصرف .
(٣) الجـــن ١٨ .
(٤) الكتاب جـ ١ ص ٤٦٤ بتصرف .

٢ – معاني القرآن للفـــراء ، والقراءات :

معاني القرآن للفراء أول كتاب وصل إلينـــا تمثل فيه النحو الكوفي ، فهو بمثابة كتاب سيبويه للنحو البصري .

ولا نستطيع في هذه النقطة أن نتحدث عن المعـــاني منهجا ودراسة فإن ذلك كما قلت – يطيل أمد البحث . والذي يهمنـــي من « المعاني » تناوله للقراءات – والحقيقة أننا نرى في هذا الكتاب طائفة مـــن القراءات التي دافـــع عنها ، أو احتج بها ، أو وقف منها موقف المعارض – تطل بوجهها في معظم المسائل النحوية التي تناولها الفـــراء في « معانيه » فمن القراءات التي اعتمدها الفراء :

١ – قراءة أبيّ ، وذلك ليصحح بها رأياً نحوياً كان يراه .

يقول في قوله تعـــالى « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتمـــــوا الحق وأنتم تعلمون(١) » : ان شئت جعلت « وتكتموا » في موضـــع جزم تريد به ، ولا تلبسوا الحـــق بالباطل ، ولا تكتمـــوا الحـــق » فتلغى « لا » لمجيئها في أول الكلام وفي قراءة أبي « ولا تكـــونوا أول كافر به وتشتروا بآياتي ثمناً قليلا »، فهـــذا دليل على أن الجزم في قولـــه : وتكتموا الحق مستقيم صواب(٢) .

٢ – ويصحح قراءة ابن مسعود بأدلة واضحة لا تخفى عـــلى باحث فيقول في موضع نصب المضارع بعد «الفاء أو الواو» وإذا أجبـــت الاستفهام بالفاء فنصبت ، فانصب المعطـــوف ، وإن جزمتهـــا فصواب من ذلك قوله في المنافقين : « لولا أخرتني إلى أجـــل قريـــب فأصدق وأكن(٣) » أردت وأكن على موضع الفاء ، لأنها في محل جزم اذ كان الفعل إذا وقع موقعها بغير الفاء جزم ، والنصب على أن ترده على ما بعدها

---

(١) البقـــرة ٤٢ .
(٢) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٣٣ .
(٣) المنـــافقون ١٠ .

فتقول « وأكون » وهي في قراءة عبدالله بن مسعود ، وأكونَ بالواو وقد قرأ بها بعض القراء ، وأرى ذلك صواباً(١) .

ويستدل الفراء بقراءة ابن مسعود أيضاً ليصحح بهـــا قراءة أبي عمرو التـــي تخالف رسم المصحف ، وذلك أنه كان يقرؤهـــا بغير الواو فيقـــول(٢) :

« لأن الواو ربما حذفت من الكتاب وهي تزاد لكـــثرة ما تنقص وتزاد في الكلام ، ألا ترى أنهم يكتبون : الرحمن ، وسليمن بطـــرح الألف والقـــراءة بإثباتها ، فلهذا جازت . وقد أسقطت الواو من قوله « ويدع الإنسان بالشر »(٣) والقراءة على نية إثبات الواو . ثم قال : فهذا شاهد على جواز ، « وأكون من الصالحين »(٤) .

٣ ــ ويحـــاول أن يتلمس مخرجـــاً لقراءة « ولكم فيها معائش »(٥) فيقـــول :

« وربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة لشبهها بوزنها في النفظ ، وعدة الحروف ، كما جمعـــوا مسيل الماء أمسله شبه بفعيل وهو مفعـــــل ، وقد همزت العرب المصائب وواحدتها مصيبة ، شبهت بفعيلة لكثرتها في الكلام(٦) .

٤ ــ والفراء في كتابه « المعاني » لا ينظر إلى القراءات نظـــرة من يعتبر فيهـــا الرواية والسند ، فلا تعجبه قراءة حمـــزة في قوله تعالى : « إلا أن يخافا ألاّ يقيمـــا حدود الله »(٧) يقول « في قـــراءة

(١) معاني القرآن للفراء جـ ١ ص ٨٧ * البقرة ٤١ .
(٢) أنظر هامش المعاني جـ ١ ص ٨٧ .
(٣) الاسراء ١١ .
(٤) معاني القرآن جـ ١ ص ٨٧ ، ٨٨ .
(٥) الأعـــراف ١٠ .
(٦) معاني القرآن جـ ١ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
(٧) البقـــرة ٢٢٩ .

عبدالله « إلا أن يخافوا » فقرأها حمزة على هذاا لمعنى إلا أن «يُخافا» ولا يعجبني ذلك . .

ثم قال : وأما ما قال حمـــزة ، فإنه وإن كان أراد اعتبار قراءة عبدالله فلم يصبه – والله أعلم – لأن الخوف انما وقـــع على أن وحدها إذ قال : « ألا يخافوا أن لا » وحمزة قد أوقع الخوف على الرجل والمرأة وعلى أن : (١) ألا ترى أن اسمها في الخـــوف مرفوع بما لم يسم فاعله ، فلو أراد ألا يخافا على هذا ، أو يخاف بذا ، أو من ذا ، فيكون غـــير اعتبار قول عبدالله كان جائزاً كما تقول للرجل : تُخاف لأنك خبيـــث ، وبأنك وعلى أنك.. الخ »(٢) .

٥ – وينقد الأعمش وعاصم ، ويصفهما بالخطأ فيقول في قولـــه تعـــالى :

« ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤدْه اليك »(٣) .

« كان الأعمش وعاصم يجزمان الهاء في «يؤدْه» «نولْه ما تولى »(٤) « أرجْه(٥) وأخاه » « وخيراً يرهْ ، وشراً يرهْ »(٦) .

قال : لهما مذهبان : أما أحدهما فإن القـــوم ظنوا أن الجزم في الهاء وانما هو فيما قبل الهاء ، فهذا وان كان توهما خطأ. وأمـــا الآخر فإن من العرب من يجزم الهاء إذا تحرك ما قبلها فيقول : ضربتهْ ضربـــاً

(١) قال الشيخ النجار معلقاً : يريد أنه على قراءة حمزة يخافا ألا يقيما ببناء الفعل للمفعول يكون الفعل قد عمل في نائب الفاعل ، وفي أن ومعمولها ، وكأن الفعل قد عمل في أكثر من معمول واحد الرفع ، وهذا غير مألوف إلا على وجه التبعية ، والنحويون يصححون هذا الوجه بأن يكون الا يقيما بدل اشتمال من نائب الفاعل . (هامش ج ١ ص ١٤٦).

(٢) انظر معاني القرآن ج ١ ص ١٤٧ .

(٣) آل عمران ٧٥ .

(٤) النساء ١١٥ .

(٥) الأعـــراف ١١١ .

(٦) الزلزال ٧ ، ٨ .

شديداً ، أو يترك الهاء إذا سكنها ، وأصلها الرفع بمنزلة رأيتهم ، وأنتم ، الا ترى أن الميم سكنت ، وأصلها الرفع (١) .

٦ — ويبين لنا الفراء في « المعاني » أن النحاة كانوا يختارون من القراءات ما وافق مذاهبهم ، أو تناسق مع أصولهم : فيقول في قوله تعالى : « وزلزلوا حتى يقولَ الرسول »(٢) قرأها القُراء بالنصب الا مجاهدا ، وبعض أهل المدينة فانهما رفعاها . ثم قال : وقد كان الكسائي قرأ بالرفع دهرا ، ثم رجع إلى النصب(٣) .

٧ — والفراء تأثر بسيبويه حينما بين لنا في « معانيه » أن هناك قراءات لم تقرأ رواية ولكنها لو قرئت لجازت ، ولكانت صوابا لأنها تجرى على سنن العربية فيقول في قوله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا(٤) » قرأها القُراء بالكسر ، ولو قرئت بالفتح على معنى إذ لم يؤمنوا ، لأن لم يؤمنوا ، ومن أن لم يؤمنوا لكان صوابا(٥) .

٨ — والفراء معانيه كان ينظر إلى رسم المصحف وأنه شرط في القراءة حتى ولو كانت القراءة صحيحة تجيزها العربية .

استمع إليه يقول في قراءة الحسن : « عليهم لعنة الله ، والملائكة والناس أجمعين »(٦) قرأها الحسن : « لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعون » وهو جائز في العربية ، وان كان مخالفا للكتاب(٧) .

٩ — ومما يبدو متناقضاً في الفراء أنه ربما يجيز القراءة أن صحت عربية وان لم يكن لها سند من الرواية . إن صح ذلك فهو متناقض مع

(١) معاني القرآن جـ ١ ص ٢٣٣ .
(٢) البقرة ٢١٤ .
(٣) معاني القرآن جـ ١ ص ١٣٣ .
(٤) الكهف ٦ .
(٥) معاني القرآن جـ ١ ص ٥٨ .
(٦) البقرة ١٦١ .
(٧) معاني القرآن جـ ١ ص ٩٦ .

نفسه . يقول في قوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم »(١) لم يقرأه أحد بالرفع ، ولم نسمعه ، ولو قيل جاز . . ثم قال : والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية ، فلا يقيمن عندك تشنيع مما لم يقرأة القراء مما يجوز(٢) .

٣ ـ الحجة لأبي علي الفارسيّ :

ذكر أبو عليّ في مقدمة حجته ابتهالات ، ودعوات إلى عضد الدولة ، وتاج الملة .

ثم ذكر بعد ذلك أن كتابه الحجة يدور حول القراءات السبع وحدها ، وهي القراءات التي ثبتت في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد . ويبين الفارسي في مقدمته أنه لم يكن أول نحوي شرع في الاحتجاج لهذه القراءات ، فقد سبقه إلى ذلك أبو بكر محمد بن السريّ في تفسير صدر من ذلك في كتاب كان قد ابتدأ بإملائه .

ولم ينس أبو علي أن يبين لنا أن منهجه الأمانة في هذا الكتاب ، فهو يسند إلى محمد بن السريّ ما فسر من هذه القراءات « في كتاب الحجة »(٣) ولم تكن مقدمة الفارسي في الحجة طويلة ، وأكتفي بالإشارات التي ذكرتها الآن .

وكتاب الحجة شغل أذهان النحاة واللغويين ، وكانت آراؤهم حوله مختلفة فأبو العلاء المعري كان يرى أن كتاب الحجة أمره خطير لأنه تصحيح عربي للقراءات السبع التي ينكر بعضها كثير من النحاة ، وهو من أجل هذا يستحق الثواب الجزيل والأجر العظيم ، ولا ثواب أجل من الجنة ، ولا أجر أعظم من الفوز بها .

قال أبو العلاء : وقد كنت رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة يعرف بأبي علي الفارسي ، وقد امترس قوم

---

(١) النساء ١٥٥ .
(٢) المعاني جـ ١ ص ٢٤٥ .
(٣) انظر مقدمة الحجة – نسخة – مصورة رقم ٤٦٣ قراءات بدار الكتب .

يطالبونه ويقولون تأولت علينا وظلمتنا . . إلى أن قال : وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله فقلت يا قوم . إن هذه أمور هينة ، فلا تعنتوا هذا الشيخ فإنه يمت بكتابه في القرآن المعروف بكتاب « الحجة » وأنه ما سفك لكم دماً ، ولا احتجن عنكم مالا ، فتفرقوا عنه(١) .

وابن جني يرى في كتابه « المحتسب » أن الحجة للفارسي مجفو عند القراء ولعل ذلك لكثرة استطراداته ، وعدم تناسقه ، وتطويله المخل مما ينفر النفس ويرهق العقل ، ولذا قال ابن جني :

« وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة ، وظاهر أمره أنه لأصحاب القراءة ، وفيه أشياء كثيرة قلما ينتصف فيها لكثير ممن يدعي هذا العلم حتى أنه مجفو عند القراء »(٢) .

وقال ابن جني في موضع آخر من المحتسب ينقد الحجة نقداً صريحاً :

« وقد كان شيخنا أبو علي عمل كتاب الحجة في قراءة السبعة فأغمضه ، وأطاله حتى منع كثيراً ممن يدعي العربية فضلاً على القراءة منه وأجفاهم عنه(٣) .

ومع صعوبة الحجة ومع ما فيه من التطويل المنفر ، فإن العلماء لم تنقطع روايتهم له واشتغالهم به وهذا يرجع إلى أن كتاب الحجة لا يسبر غوره ، ولا يتصل إلى عمقه إلا الأفذاذ من الرجال ، ومن هنا كان سر اشتغالهم به ودراستهم له « فمحمد بن عثمان ابن بلبل أبو عبدالله » لغوي نحوي صحب السيرافي والفارسي ، وروى عنه كتاب الحجة في القراءات ، وسمعه ابن بشران النحوي(٤) .

---

(١) رسالة الغفران لأبي العلاء المعري . تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء ص ١٤٥ ط دار المعارف بمصر .
(٢) المحتسب ص ٢٣٦ نسخة رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .
(٣) المحتسب ص ٢٨٨ رقم ٣٧٩ تفسير – تيمور .
(٤) معجم الأدباء جـ ١٨ ص ٢٤٩ .

ومكي بن أبي طالب محمد ويقال له : حموش . . كان إماما عالما بوجوه القراءات ، له منتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارسي ثلاثون جزءاً(١) ، والملك المعظم عيسى : قرأ الأدب والنحو على تاج الدين الكندي ، فأخذ عنه كتاب سيبويه ، وشرحه الكبير للسيرافي والحجة في القراءات لأبي علي الفارسي (٢) .

منهج أبي علي في الاحتجاج :

١ — يحاول أبو علي في الاحتجاج بالقراءات السبع أن يسند القراءات إلى أصحابها فيقول مثلاً في قوله تعالى « ولا تقبل منها شفاعة »(٣) : قرأ ابن كثير وأبو عمرو لا تقبل بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي لا يقبل بالياء وروي يحيى بن آدم وابن أبي أمية والكسائي وغيرهم عن أبي بكر وحفص عن عاصم بالياء ، وروي الحسيني الجعفي عن أبي بكر عن عاصم بالتاء(٤) .

٢ — قد يعرض لمعنى الآية ، لأن الإعراب فرع المعنى فيقول في نفس الآية :

قال أبو علي : المعنى في قوله : لا يقبل منها شفاعة ، لا يقبل فيه منها شفاعة ، ثم يستدل على هذا المعنى بآية أخرى قريبة منها فيقول : فمن ذهب إلى أن فيه محذوفة من قوله « واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئا(٥) » جعل فيه محذوفة بعد قوله يقبل . ومن ذهب إلى أنه حذف الجار وأوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة كان مذهبه في قوله : لا يقبل أيضا مثله(٦) .

---

(١) جـ ١٩ ص ١٦٩ معجم الأدباء .
(٢) معجم الأدباء جـ ٦ ص ٢٦٧ .
(٣) البقرة ٤٨ .
(٤) الحجة جـ ٢ لوحة ٤٦ نسخة مصورة رقم ٤٦٣ — دار الكتب .
(٥) البقرة ٤٨ ، ١٢٣ .
(٦) الحجة جـ ٢ لوحة ٤٦ .

٣ — الاستطراد — ومن منهج أبي علي في الحجة كثرة الاستطراد وبعد رحلة طويلة فيه يرجع مرة أخرى إلى المعنى الذي كان يقرره أولاً ومن أجل ذلك لا بد للدارس للحجة والقارىء فيه أن يملك أعصابه والا ما أفاد شيئا منهُ ومن أمثلة الاستطراد في هذه الآية نفسها ، الحديث عن الشفاعة ومعناها : ولمن تكون هذه الشفاعة ، فإذا وّفي الموضوع حقه رجع إلى النحو والإعراب .

فقال : والضمير في منها من قوله « ولا يقبل منها عائد إلى « نفس » على اللفظ وفي قوله « ولا هم ينصرون » على المعنى ، لأنه ليس المراد المفرد : فلذلك جمع »(١) .

٤ — الاحتجاج لهذه القراءات من وجهة النحو والإعراب فيقول في الآية نفسها :

« فأما حجة من قال : ولا تقبل ، فألحق علامة التأنيث ، فهي أن الأسم الذي أسند إليه هذا الفعل مؤنث ، فيلزم أن يلحق المسند أيضاً علامة التأنيث ليؤذن لحاق العلامة بتأنيث الأسم، كما ألحق الفعل حيث ألحق ليؤذن بأن الخبر معرفة ، أو قريب من المعرفة .

و حجة من لم يلحق أن التأنيث في الأسم ليس بحقيقي ، وإذا كان كذلك حمل على المعنى فذكّر ، ألا ترى أن الشفاعة والشفع بمنزلة ، كما أن الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك .

٥ — الاستدلال بالقرآن على القرآن ، وذلك كاستدلاله لمن لم يلحق تاء التأنيث بالفعل في الآية . يقول « تكملة للموضع السابق : » وقد قال « فمن جاءه موعظة من ربه »(٢) « وأخذ الذين ظلموا الصيحة »(٣) فكما لم تلحق العلامة هنا كذلك يحسن الا تلحق في قوله « ولا تقبل »

---

(١) الحجة ح ٢ لوحة ٤٨

(٢) البقرة ٢٧٥ .

(٣) هود ٦٧ .

لاتفاق الجميع في أن ذلك تأنيث غير حقيقي وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل كما رأيت .

٦ – وقد يلجأ إلى كلام العرب المسموع ليقوي به وجه القراءة فيقول في الموضع نفسه :

« ومما يقوي التذكير أنه قد فصل بين الفعل والفاعل بقوله : (منها) والتذكير يحسن مع الفصل كما حكى من قولهم : حضر القاضي اليوم امرأة ، فإذا جاء التذكير الحقيقي مع الفصل فغيره أجدر بذلك .

٧ – ومن منهج أبي علي في حجته التعرض لآراء النحاة ، ونقد بعضها إذا لم يكن لها سند أو دليل : استمع إليه يوجه نقده المر إلى أحمد بن يحيى :

قال : فأما ما قاله أحمد بن يحيى من أن التذكير أجود لقول ابن مسعود : ذكّروا القرآن ، فان قول ابن مسعود لا يخلو من أن يريد به التذكير الذي هو خلاف التأنيث أو يريد به معنى غير ذلك ، فإن أراد به خلاف التأنيث فليس يخلو من أن يريد ذكروا فيه التأنيث الذي هو غير حقيقي أو التأنيث الذي هو حقيقي فلا يجوز أن يريد التأنيث الذي هو غير حقيقي لأن ذلك قد جاء منه في القرآن ما يكاد لا يحصى كثرة كقوله « وللدار الآخرة »(١) وكقوله « النار وعدها الله »(٢) وقوله « والتفت الساق بالساق »(٣) . . الخ . فإذا اثبت هذا النحو في القرآن على الكثرة التي نراها لم يجز أن يريد هذا ، وإذا لم يجز أن يريد ذلك كانت إرادته به التأنيث الحقيقي أبعد ، كقوله: «إذ قالت امرأة عمران »(٤) وقوله « ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها »(٥) « كانتا تحت عبدين

(١) الأنعام ٣٢ .
(٢) الحج ٧٢ .
(٣) القيامة ٢٩ .
(٤) آل عمران ٣٥ .
(٥) التحريم ١٢ .

من عبادنا صالحين فخانتاهما »(١) « وقالت لأخته قصية »(٢) « فبصرت به عن جنب »(٣)

فإن قلت : إنما يريد إذا احتمل الشيء التأنيث والتذكير فاستعملوا التذكير وغلبوه قيل أيضاً هذا لا يستقيم . ألا ترى أن فيما تلونا « والنخل باسقات »(٤) « وكأنهم أعجاز نخل خاوية »(٥) فأنث مع جواز التذكير منه يدلك على ذلك قوله في الأخرى « أعجاز نخل منقعر »(٦) وقوله « من الشجر الأخضر نارا »(٧) ولم يقل الخضرة ولا الخضراء وقوله « السحاب الثّقال »(٨) ولم يقل الثقيل كما قال منقعر ، فهذه المواضع يعلم منها أن ما ذكرت ليس بمراد ، ولا مذهب ، فإذاً لا يصح أن يريد بقوله ذكروا القرآن التذكير الذي هو خلاف التأنيث ، وإذا لم يرد ذلك كان معنى غيره .

٨ — ومن طبيعة أبي علي الفارسي في منهجه أنه إذا هدم رأيا ، أو قوض بنيانا لا يتركه على حاله بل يحاول أن يهدم ليبني ، ويقوض ليشيد يدل على ذلك أنه بعد أن هدم رأى أحمد بن يحيى بنى رأيه على أساس آخر ، وأشاده على دعائم ثابتة فقال في الموضع نفسه « فمما يجوز أن يصرف إليه قول ابن مسعود أن يريد به الموعظة والدعاء إليه كما قال « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » (٩) ثم أخذ يأتي بالدليل تلو الدليل على ما يريد أن يقول ، والاستطراد شعاره في هذه الأدلة التي عمادها القرآن الكريم إلى أن قال :

---

(١) التحريم ١٠ .
(٢) القصص ١١ .
(٣) القصص ١١ .
(٤) ق ١٠ .
(٥) الحاقة ٧ .
(٦) القمر ٢٠ .
(٧) يس ٨٠ .
(٨) الرعد ١٢ .
(٩) ق ٤٥ .

« ويمكن أن يكون معنى قوله : ذكروا القرآن أي لا تجحدوه ، ولا تنكروه كما أنكره من قال فيه : « أساطير الأولين »(١) لاطلاقهم عليه لفظ التأنيث فهؤلاء لم يذكروه ، لكنهم أنثوه باطلاقهم التأنيث على ما كان مؤنث اللفظ كقوله « إن يدعون من دونه إلا إناثاً »(٢) فإناث جمع أنثى وإنما يعني به ما اتخذوه آلهة كقوله « أفرأيتم(٣) اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى »(٤) .

٩ – هذا ، ومنهج أبي علي في تناوله للقراءات والاحتجاج بها يقوم على أساس من المنطق والفلسفة فهو يقتل المسألة بحثاً ، ويعتمد لها من الأدلة المنطقية والنقلية ما يسند رأيه ، ويقوي حجته .

من هذا العرض لهذه الآيات التي تناولها أبو علي الفارسي من وجهة القراءات التي قرئت بها وضح لنا منهجه ، وهو لا يتغير ولا يتبدل في جميع الآيات التي تناولها ، وهذا المنهج تلمسه كما صورت – في كل الآيات التي عرض لها .

صور من احتجاج أبي علي للقراءات السبع :

١ – « يغفر لكم خطاياكم »(٥) قال : قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وعاصم وحمزة ، والكسائي نغفر لكم بالنون ، وقرأ نافع يغفر لكم بياء مضمومة لم يسم فاعله ، وقرأ ابن عامر تغفر لكم مضمومة التاء . . .

قال أبو علي حجة من قال : « نغفر لكم » أنه أشكل بما قبله ، ألا ترى أن قبله « وإذ قلنا ادخلوا هذه » فكأنه قال : قلنا ادخلوا نغفر وحجة من قال : يغفر أنه يؤول إلى هذا المعنى ، فيعلم من الفحوى أن ذنوب المكلفين ، وخطاياهم لا يغفرها إلا الله . وكذلك قول من قرأ

(١) الفرقان
(٢) النساء ١١٧ .
(٣) النجم ١٩ ، ٢٠ .
(٤) الحجة ج ٢ من لوحة ٤٨ إلى لوحة ٥٣ .
(٥) البقرة ٥٨ .

« تغفر » لأن من قال « نغفر » لم يثبت علامة التأنيث في الفعل لتقدمــه ، كما لم يثبت لذلك في نحو قوله « وقال نسوة في المدينة »(١) .

ومن قال : تغفر فلأن علامـــة التأنيث قد ثبتت في هذا النحـــو نحو قوله : « قالت الأعراب(٢) وكلا الأمرين قد جاء به التنزيل . قال : « وأخذ الذين (٣) ظلموا الصيحة » وفي موضع « فأخذتهم الصيحة »(٤) والأمران جميعا كثيران(٥) .

٢ — « فأمتعه قليلا »(٦) قال أبو علي :

اختلفوا في تسكين الميم وكسر التاء وتحريك الميم وتشديد التاء في قوله تعـــالى » فأمتعه قليلا » .

فقرأ ابن عامر وحده « فأمتعه قليلا » خفيفة من أمتعت — وقرأ الباقون فأمتعه مشددة التاء من متعت .

قال أبو علي : التشديد أولى ، لأن التنزيل عليه : قال تعالى « فعقروها فقال تمتعوا في داركم »(٧) فتمتع مطاوع متع ، وعامة ما في التنزيل عـــلى التثقيل . قال جل اسمه « يمتعكم متاعا حسنا »(٨) « كمن متعناه متاع (٩) الحياة الدنيا » فكما أن هذه الألفاظ على متّع دون أمتع ، فكـــذلك الأولى بالمختلف فيه أن يكون على متع دون أمتع .

ووجه قراءة ابن عامر أن أمتع لغة ، وأن فعـــل يجرى في هـــذا النحو مجرى أفعل نحو : فرحته ، وأفرحته ، ونزلته ، وأنزلته — وزعموا أن في حرف عبدالله « وأنزل الملائكة تنزيلا »(١٠) .

---

(١) يوسف ٣٠ .
(٢) الحجرات ١٤ .
(٣) هـــود ٦٧ .
(٤) الحجر ٧٣ .
(٥) الحجة ج ٢ لوحة ٨٥ .
(٦) البقـــرة ١٢٦ .
(٧) هـــود ٦٥ .
(٨) هـــود ٣ .
(٩) القصص ٦١ .
(١٠) الفرقان ٢٥ .

وأنشدوا للراعي :

خليلين من شعبين شتى تجاورا

قليلا(١) وكانا بالتفرق أمتعا(٢)

٣ — « ليس البر »(٣) قال أبو علي : اختلفوا في رفع الراء ونصبها من قوله تعالى » ليس البر « فقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة ليس البر بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص ، عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقون البر رفع . قال أبو علي : كلا المذهبين حسن لأنّ كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافأ النكرتان .

ومن حجة من رفع البر أن يكون البر الفاعل أولى ، لأن ليس تشبه الفعل ، وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده .

ألا ترى أنك تقول : قام زيد ، فتلي الاسم الفعل ، ونقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير بالغلام التأخير ، ولولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل في الموضع الذي هو أخص به .

ومن حجة من نصب البر ، أنه قد حكى لي عن بعض شيوخنا أنه قال في هذا النحو : أن يكون الاسم أن وصلتها أولى وأحسن لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف ، كما لا يوصف المضمر ، فكأنه اجتمع مضمر ومظهر ،والأولى إذا اجتمع مضمر ومظهر أن يكون المضمر الاسم من حيث

---

(٢) اللسان جـ ١٠ ص ٢٠٨ .
(٣) الحجة جـ ٢ لوحة ٢٣٧ .
(٤) البقرة ١٧٧ .

كان أذهب في الاختصاص من المظهر ، وكذلك إذا اجتمع أن مع مظهر غيره كان أن يكون أن الاسم ، والمظهر الجبر أولى(١) .

٤ – الحجة لابن خالويه(٢) :

كان أبو علي الفارسي ، وابن خالويه متعاصرين ، فأبو علي الفارسي ذهب إلى حلب ، وعاش في بغداد إلى أن توفي سنة ٣٧٧هـ ، وابن خالويه ذهب إلى بغداد لطلب العلم سنة أربع عشرة وثلاثمائة(٣) .

وابن خالويه كان متأثراً بالقراءات ، ذلك لأنه قرأ القراءات في بغداد على ابن مجاهد ، جامع السبع(٤) .

منهج ابن خالويه في الحجة :

يتفق كتاب الحجة لابن خالويه مع كتاب الحجة للفارسي في أن كلا منهما احتجاج للقراءات السبع غير أن منهج ابن خالويه مختلف عن منهج الفارسي في طريقة معالجة نصوص القراءات .

فأبو علي الفارسي كما بينت – يؤثر الاستطراد ، والإطالة ، وابن خالوية يؤثر الإيجاز فيقول في مقدمة كتابه «و قاصد قصد الإبانة في اقتصار من غير إطالة ولا إكثار »(٥) .

وأسلوب أبي علي الفارسي يقوم على المنطق والأقيسة مما يصعب على الأفهام أن تسبر غوره في بعض الأحيان على حين أن أسلوب ابن خالوية يتجلى في لفظ بين جذل ، ومقال واضح سهل ، ليقرب على مريده(٦) .

---

(١) الحجة جـ ٢ لوحة ٣٩٥ وقد طبع من حجة أبي علي الجزء الأول فقط (المؤسسة المصرية) .
(٢) ترجمة بالبغية ص ٢٣١ .
(٣) انظر البغية ص : ٢١٦ ترجمة أبي علي الفارسي ، ص : ٢٣١ ترجمة ابن خالوية .
(٤) المرجع نفسه ص : ٢٣١ .
(٥) الحجة لابن خالوية ورقة ١ مخطوط رقم ١٩٥٢٣ ب . حققه المؤلف فيما بعد وطبع طبعتين بدار الشروق في بيروت .
(٦) المرجع السابق والصفحة .

ومن منهج ابن خالويه في كتاب الحجة : ذكر وجوه الاختلاف بين القراء في القراءات فحسب ، وعدم التعرض للقراءات التي اتفقوا فيها يقول : « وأنا بعون الله ذاكر في كتابي هذا ما احتج به أهل صناعة النحو لهم في معاني اختلافهم ، وتارك ذكر اجتماعهم وائتلافهم فيه »(١) .

ومن منهجه أيضاً الاعتماد : (على ذكر القراءة المشهورة ، والعدول عن الروايات الشاذة المنكورة)(٢) .

مثال يوضع المنهج :

رأيت أن أسجل مثالا تتجلى فيه خصائص منهج ابن خالويه فعرضت للآية التي عرض لها الفارسي ، واستدللنا بها على بيان خصائص منهجه وهي قوله تعالى : « ولا تقبل منها شفاعة(٣) » .

قال ابن خالويه : يقرأ بالياء والتاء ، فالحجة لمن قرأ بالتاء أنه دل بها على تأنيث الشفاعة ، ولمن قرأ بالياء ثلاث حجج . أولا هن : أنه لما فصل بين الفعل والاسم بفاصل جعله عوضا من تأنيث الفعل . والثانية : أن تأنيث الشفاعة لا حقيقة له ، ولا معنى تحته ، فتأنيثه وتذكيره سيان . والثالثة : قول ابن مسعود « إذا اختلفتم في التاء والياء ، فاجعلوه بالياء »(٤) .

كان ابن خالويه صادقاً في منهجه الصدق كله ، فالايجاز رائده ، والوضوح ديدنه ، وعدم الاستطراد شعاره ، على خلاف الفارسي الذي تناول هذه الآية في أكثر من سبع ورقات في كتابه الحجة .

هذا المنهج الذي فرضه ابن خالويه على نفسه جعله يمر بقول ابن مسعود السابق ذكره من غير تعليق وتفنيد ، على حين تناوله الفارسي في بحث شيق ، وتحليل جميل .

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) الحجة لابن خالوية ورقة ١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٤٨ .
(٤) الحجة : ورقة : ٨ .

صور من احتجاج ابن خالويه للقراءات السبع :

١ - الاحتجاج لأبي عمـــــرو : قال في قوله تعالى : « يغفر لكم خطاياكم »(١) أدغم أبو عمرو وحـــــده الراء في اللام من يغفر لكم وما شاكله في القرآن وهو ضعيف عند البصريين .

والحجة في ذلك أنه لما كانت تدغم اللام في الراء : « وقل رب »(٢) ، « بل ران »(٣) كانت الراء بهذه المثابة تدغم في اللام(٤) .

٢ - ويحتج لابن عامر في قراءته « وقالوا اتخذ الله ولدا »(٥) بغير واو فيقـــــول : والحجة له أنه استأنف القـــــول مخبراً به ، ولم يعطفه على ما قبله . وقرأ الباقون بالواو ، والحجة لهم أنهم عطفوا جمـــــلة على جملة وأتـــــوا الكلام متصلاً بعضه ببعض ، وكل من كـــــلام العـــــرب (٦) .

٣ - وينتصر للكوفيين - لأنه كان يميل إليهم - في قوله تعـــــالى : « واتقو الله الذي تساءلون به والأرحـــــام(٧) » فيقول : والأرحـــــام يقرأ بالنصب والخفض ، فالحجة لمن نصب أنه عطفه على الله تعـــــالى ، وأراد : واتقوا الأرحام لا تقطعوها فهذا وجه القراءة عند البصريـــين ، لأنهم أنكروا الخفض ، ولحنوا القـــــارىء به وأبطلوه من وجوه :

أحدها : أنـــه لا يعطف بالظاهر على مضمر المخفوض إلا باعـــادة الخافض ، لأنه معه كشيء واحـــــد ، لا ينفرد منه ، ولا يحـــــال بينه وبينه ، ولا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض والعلة في ذلك أنه لمـــا كـــان العطف عـــــلى المضمر المرفوع قبيحاً حتـــــى يؤكد ، لم يكن بعد القبح إلا الامتنـــــاع .

---

(١) سورة البقرة : آية : ٥٨ .
(٢) سورة طـــه آية : ١١٤ .
(٣) سورة المطففين آية : ١٤ .
(٤) الحجة : ورقة : ١٠ .
(٥) سورة البقرة آية : ١١٦ .
(٦) الحجة : ورقة : ١٤ .
(٧) سورة النساء آية : ١ .

وأيضاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن نحلف بغير الله ، فكيف ننهى عن شيء ونؤتى به ؟ وإنما يجوز مثل ذلك في نظم الشعر ووزنه اضطرارا كما قال الشاعر :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا
فاذهب فما بك ، والأيام من عجب

وليس في القرآن بحمد الله موضع اضطرار ، هذا احتجاج البصريين .

فأما الكوفيون : فأجازوا الخفض ، واحتجوا لقارىء بأنّه أضمر الخافض ، واستدلوا بأن العجاج كان إذا قيل له : كيف تجدك ؟ يقول : خيرٍ عافاك الله ، يريد بخير .

وإذا كان البصريون لم يسمعوا الخفض في مثل هذا ، ولا عرفوا إضمار الخافض فقد عرفه غيرهم وأنشدوا :

رسمِ دار وقفت في طلله(1)
كدت أقضى الحياة من جلله

أراد ورب رسم دار ، إلا أنهم مع إجازتهم ذلك ، واحتجاجهم للقارىء به يختارون النصب في القراءة(2) .

٤ — ويحتج لإثبات الألف وطرحها من قوله تعالى « أو لامستم النساء »(3) فيقول : فالحجة لمن أثبتها أنه جعل الفعل للرجل والمرأة ، ودليله أن فعل الاثنين لم يأت عن فصحاء العرب الا بفاعلت ، وبالمفاعلة ، وأوضح الأدلة على ذلك قولهم : جامعت المرأة ، ولم يقل جمعت ، والحجة لمن طرحها . أنه جعله فعلاً للرجل دون المرأة ، ودليله قوله

(١) البيت في اللسان جـ ١٣ ص : ١٢٧ ، وينسب هذا البيت لجميل . اللسان .
(٢) الحجة ورقة : ٢٩ ، ٣٠ .
(٣) سورة المائدة آية : ٦ .

تعالى : « إذا نكحتم المؤمنات »(١) ولم يقل : ناكحتم . وكل قد ذهب من العربية مذهباً أبان عن فضله وفصاحته(٢) .

٥ ـ ويحتج لقراءة قنبل في قوله تعالى : « إنه من يتق ويصبر(٣) » فيقول : القراءة بكسر القاف ، وحذف الياء علامة للجزم بالشرط إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير باثبات الياء ، وله في إثباتها وجهان :

أحدهما : أنه من العرب من يجري الفعل المعتل مجرى الصحيح ، فيقول : لم يأتي زيد ، وأنشد :

ألم يأتيك والأنباء تنمى
بما لاقت لبون بني زياد

والاختيار في مثل هذا حذف الياء للجازم ، لأن دخول الجازم على الأفعال يحذف الحركات الدالة على الرفع إذا وجدها ، فإن عدمها لعلة حذفت الحروف التي تولدت منها الحركات ، لأنها قامت مقامها ، ودلت على ما كانت الحركات تدل عليه ، وإنما يجوز إثباتها مع الجازم في ضرورة الشاعر :

والوجه الثاني أنه أسقط الياء لدخول الجازم ، ثم أبقى القاف على كسرتها وأشبعها لفظا ، فحدثت الياء للاشباع (٤) .

٦ ـ ويستدل بالقرآن والشعر لتقوية احتجاجه في قوله تعالى « يدخله جنات »(٥) فيقول : يقرأ بالنون والياء ، وكذلك « يدخله نارا »(٦) فالحجة لمن قرأهما بالياء قوله تعالى في أول الكلام « ومن يطع الله يدخله » ولو كان بالنون لقال : ومن يطعنا .

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٤٩ .
(٢) الحجة ورقة : ٣٢
(٣) سورة يوسف آية : ٩٠ .
(٤) الحجة ورقة : ٧٢ .
(٥) سورة النساء آية : ١٣ .
(٦) سورة النساء آية : ١٤ .

والحجة لمن قرأهما بالنون أن العرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى : « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم »(١) ولم يقل بكم . ومن ذلك قول عنترة :

حلت بأرض الزائـــــرين فأصبحت(٢)
عسرا عـــــلى طلابك ابنة مخـــــرم(٣)

٧ – ويحتج لقراءة النصب والرفع في قوله تعـــــالى « ليس البر أن تولوا »(٤) قال : يقرأ البر بالرفع والنصب ، فالحجة لمن رفع أنـــه جعله اسم ليس ، والخبر أن تولوا لأن معناه توليتكم .

والحجة لمن قرأ بالنصب أنه جعله خبر ليس ، والاسم أن تولـــــوا ، ودليله أن ليس وأخواتها ، إذا أتى بعدهن معرفتان، كنت مخيراً فيهما ، وأن أتى بعدهن معرفة ونكرة كان الاختيار أن تجعل المعرفة الاســـــم ، والنكرة الخـــــبر(٥) .

٨ – ويحتج لقراءة الرفع والنصب في قوله تعالى : « وصيـــــة لأزواجهم »(٦) فيقول : يقرأ بالرفع والنصب فالحجة لمن رفع أنـــه أراد فلتكن وصية ، أو فأمرنا وصية ، ودليله قراءة عبدالله « فالوصية لأزواجهم متاعا » والحجـــــة لمن نصب أنها مصدر ، والاختيار في المصادر النصب إذا هي وقعت مواقع الأمر كقوله : فضرب الرقاب(٧) ، ومنه قـــــول الراجـــــز :

شكا إلى جملي طـــــــول السرى
صبراً جميـــلاً ، فكلانا مبتـــــلي(٨)

---

(١) سورة يونس آية : ٢٢ .
(٢) ويروي شطّت مزار العاشقين فأصبحت (المعلقات السبع تحقيق الشنقيطي) مطبعـــة الموسوعات سنة ١٣١٩ هـ .
(٣) الحجة ورقة ٣٠ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٧ .
(٥) الحجة : ورقة : ١٦ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٤٠ .
(٧) سورة محمد آية : ٤ .
(٨) الحجة : ورقة : ١٩ .

٥ ـ المحتسب لابن جنـــي :

لئن كان كتابا الحجة لأبي علي ، والحجة لابن خاويه في الاحتجاج للقراءات السبع التي اختارها ابن مجـــاهد فان كتاب المحتسب لابن جني في الاحتجاج للقراءات الشاذة .

ولم ينس ابن جني في مقدمته الطويلة ـ أن يبين لنا لم أقدم على هـــذا الميدان الوعر ؟ فيقـــول : (القراءات على ضربين : ضرب اجتمـــع عليه أكثر قراء الامصار ، وهـــو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجـــاهد رحمه الله كتاب الموسوم بقراءات السبع ، وهـــو بشهرته غان عن تحديده .

وضرب تعدى ذلك فسماه أهـــل زماننا شاذاً أي خارجاً عن قراءة القراء السبع ، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائـــة محفوف بالروايات من إمامه ورواته ولعلـــه أو كثيراً منه مساوٍ في الفصاحـــة للمجتمع عليه)(١) .

فابن جني يرى أن هـــذا الشاذ الذي خرج عن القراءات السبع موثوق به لأنه يقوم عـــلى سند من الرواية من ناحية ، ومساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه من ناحية أخرى .

ويقول في موضـــع آخر من مقدمته مبيناً لم اتجه إلى الاحتجاج للشاذ ؟ فيقول : « غرضنا منه أن نرى وجـــه قوة ما يسمى الآن شاذاً ، وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه . . ثم قال : والروايـــة تنميـــة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : « وما آتاكم الرسول فخذوه »(٢) ، وهذا حكم عام في المعاني والألفاظ ، وآخذه هو الآخذ به فكيف يسوغ مع ذلك أن نرفضه ونجتنبه »(٣) .

ويذكر ابن جني في مقدمته أن علماء القراءات والنحو قبله لم يهتموا بهذه القراءات الشاذة ذلك لأنهم « لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه ، ولا أولوه

---

(١) المحتسب لابن جني ص : ٣ ، ٤ مخطوط رقم ٣٧٩ – تفسير – تيمور . بتصرف . طبع في جزأين (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

(٣) المحتسب ص : ٤ ، ٥ بتصرف .

طرفاً من القول عليه ، وإنما ذكروه مرويا مسلما ، مجموعاً أو متفرقاً ، وربما اعتزموا الحرف منه ، فقالوا القول المقنع فيه ، فأما أن يفردوا له كتاباً مقصوراً عليه ، ويتجردوا للانتصار له ، ويوضحوا أسراره وعلله فلا نعلمه »(١) .

على أن ابن جني دفعته الأمانة العلمية – حتى لا يظن أحد أن هذا العمل لم يرد على خاطر نحوي قبله – إلى أن يقول : « على أن أبا علي رحمه الله قد كان وقتاً حدث نفسه بعمله – « يقصد الاحتجاج للقراءات الشاذة) – وهم أن يضع يده فيه ويبدأ به ، واعترضت خوالج هذا الدهر دونه ، وحالت هفواته بينه وبينه »(٢) ثم قال : « وأنا بإذن الله بادىء بكتاب أذكر فيه أحوال ماشذ عن السبعة ، وقائل في معناه مما يريه الله عز اسمه ، واياه أستعين ، وهو نعم الوكيل »(٣) .

منهج ابن جني في المحتسب :

١ – ويبين ابن جني منهجه في المحتسب فيقول : « ان كتابنا هذا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة ، وإنما الغرض فيه ما لطفت صنعته ، وأعربت طريقته ، ثم قال : وهو هذا الذي نحن على سمته أعني ما شذ عن السبعة ، وغمض عن ظاهر الصنعة ، هو المعتمد المعول عليه . . ونحن نود ذلك على ما رويناه ، ثم على وما صح عندنا من طريق رواية غيرنا له» (٤) .

٢ – وابن جني رجل الأمانة العلمية لا ينسى أن يبين المصادر التي اعتمد عليها في تناوله لقراءات الشاذة فيقول : « على أننا ننحى فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله الذي

---

(١) المحتسب ص : ٦ .
(٢) المحتسب ج ١ ص : ٦ ، ٧ .
(٣) المحتسب ص : ٧ .
(٤) المحتسب ج ١ ص : ٨ بتصرف .

وضعه لذكر الشواذ من القراءة . . . ثم قال : وهو أثبت في النفس من كثير من الشواذ المحكية عمن ليست له روايته ، ولا توفيقه ولا هدايته .

ولم يكتف ابن جني بما روى عن ابن مجاهد ، بل أخذ عن غيره فقال : « فأما ما رويناه في ذلك فكتاب أبي حاتم سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني رحمه الله وكما أخذ عن أبي حاتم ، أخذ كذلك عن قطرب فقال : ورويناه أيضاً من كتاب أبي علي محمد بن المستنير قطرب من هذه الشواذ قدراً كبيراً ، غير أن كتاب أبي حاتم أجمع من كتاب قطرب من حيث كان مقصوراً على ذكر القراءات عارياً من الإسهاب في التعليل ، والاستشهاد التي انحط قطرب فيها وتناهى إلى متباعد غاياتها »(١) .

ومن مصادره أيضاً « كتاب المعاني عن أبي اسحاق ابراهيم ابن السري الزجاج سماعا منه ، ومعاني الفراء عن ابن مجاهد عن الفراء . واعتمد على مصادر أخرى غير ما ذكر فقال : وروينا غير ذلك مما سنذكر سنده وقت إحضاره »(٢) .

٣ — ومن منهج ابن جني في المحتسب السهوله ، وعدم التعقيد حتى لا يكون كالحجة للفارسى يبتعد عنه الدارسون لتعقيداته وفلسفته فيقول : « إلا أننا مع ذلك لا ننسى تقريبه على أهل القرآن ليحظوا به ، ولا ينأوا عن فهمه ، فإن أبا علي رحمه الله عمل كتاب الحجة في القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء إلى ما يجفو عنه كثير من العلماء . ونحن بالله ، وله ، وإليه ، وهو حسبنا » (٣) .

وهذه العبارة الأخيرة التي ابتهل فيها إلى الله هزت أوتار قلبي لأن ذكرها في هذا الموطن يشير إلى أن هذا العمل يجب أن يكون لله وحده ، لأننا نحيا به ونعيش من أجله ، ونحشر إليه ، ومن ثم يجب الابتعاد عن الغموض والفلسفة والتعليل في هذه القراءات حتى ينتفع بها القراء .

---

(١) المحتسب ج ١ ص : ٨ بتصرف .
(٢) المرجع السابق ص : ١٠ .
(٣) المرجع السابق ص : ٦ .

ولعل في تسمية كتاب « المحتسب » اشارة تدل على ذلك ، وأنه لا يريد إلا القربى لله تعالى .

صورة من احتجاج ابن جني للقراءات الشاذة :

١ – يناقش سيبويه في حرارة لأنه لم يستطع تخريج احدى القراءات الشاذة وصمت ازاءها .

قال ابن جني في قوله تعالى : « أفمن أسس بنيانه عن تقوى من الله ورضوان »(١) : من ذلك ما حكاه ابن سلام قال : قال سيبويه : كان عيسى بن عمر يقرأ على تقوًى من الله ، قلت : على أي شيء نون ؟ ، قال : لا أدري ولا أعرفه ، قلت : فهل نون أحد غيره ، قال : لا .

قال أبو الفتح : أخبرنا بهذه الحكاية أبو جعفر بن محمد بن علي بن الحجاج عن أبي خليفة الفضل بن حباب عن محمد بن سلام .

وأما التنوين فإنه وإن كان غير مسموع إلا في هذه القراءات فإن قياسه أن تكون ألفه للالحاق ، لا لتأنيث ، كتترًى فيمن نون ، وجعلها ملحقة بجعفر .

وكان الأشبه بقدر سيبويه ألا يقف في قياس ذلك وألا يقول : لا أدري ، ولولا أن هذه الحكاية رواها ابن مجاهد ، ورويناها عن شيخنا أبي بكر لتوقفت فيها . فأما أن يقول سيبويه : لم يقرأ بها أحد فجائز يعني فيما سمعه لكن لا عذر له في أن يقول : لا أدري لأن قياس ذلك أخف وأسهل على ما شرحنا من كون ألفه للالحاق(٢) .

٢ – ويناقش ابن مجاهد في قراءة طلحة بن سليمان :

---

(١) سورة التوبة : آية : ١٠٩ .

(٢) المحتسب جـ ١ ص : ٣٧٩ .

قال ابن جني : « ومن ذلك قراءة طلحة بن سليمان : « أينما تكونوا يدرككم الموت »(١) برفع الكافين .

قال ابن مجاهد : وهذا مردود في العربية .

قال أبو الفتح : هو لعمري ضعيف في العربية ، وبابه الشعر ، لأنه ليس بمردود لأنه قد جاء عنهم : ولو قال : مردود في القرآن لكان أصح معنى . ثم أخذ ابن جني يخرج هذه القراءة فقال : وذلك أنه على حذف الفاء كأنه قال : فيدرككم الموت ومثله بيت الكتاب :

من يفعل(٢) الحسنات الله يشكرها
والشر بالشر عند الله مثلان

أي فالله يشكرها »(٣) .

٣ - ومن القراءات الشاذة التي احتج لها ابن جني قراءات مرجعها إلى اللغات ، وذلك كاحتجاجه لقراءة أبي عمرو : « في قلوبهم مرض »(٤) .

قال ابن جني ، قال ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعي ، عن أبي عمرو : « في قلوبهم مرض ساكنة » .

قال أبو الفتح : لا يجوز أن يكون مرض مخففاً من مرض ، لأن المفتوح لا يخفف وإنما ذلك في المكسور والمضموم كابل ، وفخذ ، وطنب ، وعضد ، ثم قال : والقرآن يتخير له ، ولا يتخير عليه .

وينبغي أن يكون مرض هذا الساكن لغة في مرض المتحرك ، كالجَلْب والحَلَب والطرْد ، والطرَد ، ثم قال . وقد دللنا في كتابنا

---

(١) سورة النساء آية : ٧٨ .
(٢) البيت من شواهد سيبوية (الدرر اللوامع) .
(٣) المحتسب ج ١ ص : ٢٣١ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٠ .

الخصائص على تقاود الفتح والسكون ، ولأنهما يكادان يجريان مجرى واحداً في عده أماكن(١) .

وكقراءة عمرو بن عبيد ، وعلي وعكرمة ، وابن مسعود ، وابن عباس « ربيون »(٢) بضم الراء . وقرأ بفتحها ابن عباس فيما رواه قتادة عنه ، قال أبو الفتح : الضم في ربيون تميمية ، والكسر أيضاً لغة .

ثم قال : وأما ربيون بفتح فيكون الواحد منها منسوباً إلى الرب(٣) .

٤ — ويحتج اقراءة الحسن « اهدنا صراطاً مستقيما »(٤) ، قال أبو الفتح ينبغي أن يكون أراد والله أعلم — التذلّل لله سبحانه ، وإظهار الطاعة له ، أي قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراطاً مستقيما(٥) .

٥ — ويبين ابن جني في المحتسب أن القراءة الشاذة قد تكون أشد إيضاحاً من القراءة الفاشية . قال ابن جني : (من ذلك قراءة الحسن وعمرو الأسواري « أصيب به من أساء »(٦) قال أبو الفتح : هذه القراءة أشد إيضاحاً بالعدل من القراءة الفاشية التي هي « من أشاء » لأن العذاب في القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له ، وهو الاساءة ، والقراءة الفاشية لا يتناول من ظاهرها علة إصابة العذاب له ، وأن ذلك لشيء لا يرجع إلى الإنسان ، وأن كنا قد أحطنا علماً بأن الله تعالى لا يظلم عباده .

وظاهر قوله : من أشاء بالشين المعجمة ربما أوهم من يضيق نظره من المخالفين أن يعذب من يشاء من عباده أساء أو لم يسيء . نعوذ بالله من اعتقاد ما هذه سبيله ، وهو حسبنا وولينا(٧) .

---

(١) المحتسب ج ١ ص : ٣٤ .
(٢) آل عمران : ١٤٦ .
(٣) المرجع السابق ص : ٢٠٦ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٦ .
(٥) المحتسب ج ١ ص : ١٧ .
(٦) سورة الاعراف آية : ١٥٦ .
(٧) المحتسب ج ١ ص : ٣٢٤ .

٦ – الكشف عن وجوه القراءات لمكـــي بن أبي طالب(١) :

هذا الكتاب لمكـــي بن أبي طالب المغربي ، ألفه في شرح كتاب « التبصرة » في القراءات السبع . وخــــير لي أن أترك المجال له ليتحدث عن الدوافع التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب .

قال : (كنت قد ألفت بالمشرق كتاباً مختصراً في القراءات السبع في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وسميته كتاب التبصرة ، فيما اختلف فيه القراء السبعة المشهورون ، وأضربت فيه عن الحجج والعلل ومقاييس النحو في القراءات واللغات طلباً للتسهيل ، وحرصاً على التخفيف . . ووعدت أني سأؤلف كتاباً فيه علل القراءات التي ذكرتها في ذلك الكتاب التبصرة ، أذكر فيه حجج القراءات ، ثم تطاولت الأيام . . إلى سنة أربع وعشرين وأربعمائة فرأيت أن العمر قد تناهى ، والزوال من الدنيـــا قد تدانى ، فقويت النية – في تأليفه وتمامه خوف فجأة الموت ، وحدوث الفوت وطمعاً أن ينتفع به أهل الفهم من أهل القرآن ، وأهل العلم من طلبة القــراءات فبادرت إلى تأليفه ونظمه ، ليكون باقياً على مرور الزمان ، وانقراض الأيام حرصاً مني على بقاء أجره ، وجزيل ثوابه)(١) .

ولم ينس مكـــي أن يشير إلى أن غرضه من تأليف الكتاب ، نوال الثــــواب ، والانتفاع به يوم الحساب ، ولذا صح له أن يقــــول : (أسأل الله أن ينفــــع به مؤلفه ، والمقتبس العلم منه) – وليزيـــد أجره ، ويكثر ثوابه ، طلب من الـــدارسين له الدعــــاء والترحم فقال : (فواجب على كل ذي مروءة وديانة . . . اقتبس منه علماً ، أو تبين له به معنى مشكل ، أو علم منه علماً لم يكن يعلمه أن يترحم على مؤلفه)(١) .

---

(١) ترجمة بالبغية ص : ٣٩٦ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات وعللها ، وحججها ص : ١ لمكي ابن أبي طالب مخطوط مصور نسخة رقم ١٩٩٨٢ ب – دار الكتب طبع في جزأين (مجمع اللغة العربية بدمشق) .

(٣) المرجع السابق والصفحة .

منهجه : أما منهجه ملخصاً فيتضح في الأمور الآتية :

١ ـ ذكر القراءات ، ومن قرأ بها .

٢ ـ بيان علة هذه القراءات ، وحجة كل فريق .

٣ ـ بيان الوجه الذي اختاره في كل حرف ، والتنبيه على علة اختياره لذلك كما يفعل من تقدمه من أئمة المعربين .

٤ ـ بين أن هذا الكتاب كتاب فهم وعلم ودراية على حين كان كتاب « التّبصرة » كتاب نقل ورواية .

هذا وقبل أن نسجل هنا عدة نماذج مختلفة من القراءات والاحتجاج لها تبين منهجه وطريقته أحب أن أقول : إن هذا الكتاب له ثلاثة أرقام في مخطوطات دار الكتب المصرية :

١ ـ نسخة رقم ١٩٦٧١ب مصورة ، وهذه النسخة تشتمل على ١٩٨ لوحة وفي آخر هذه النسخة كتبت العبارة التالية :

« تم الكشف عن وجوه القراءات السبع في آخر ليلة من شهر رجب الفرد سنة سبع وسبعمائة » .

غير أن المقدمة في هذه النسخة ناقصة وغير واضحة .

٢ ـ نسخة رقم ١٩٩٨٢ب مصورة بدار الكتب ، وهذه النسخة عبارة عن مجلدين الأول يضم ١٥٠ لوحة ، واللوحة صفحتان متقابلتان . أي عدد صفحات هذا القسم ٣٠٠ صفحة . والمجلد الثاني من ص : ٣٠١ ـ ص : ٤٩٤ ومن مميزات هذه النسخة أن المقدمة فيها كاملة .

٣ ـ نسخة رقم ١٧٣ ـ تفسير ـ دار الكتب غير موجودة .

صور من احتجاج مكي للقراءات :

١ ـ « وقالوا اتخذ الله ولدا »(١) .

(١) سورة البقرة آية : ١١٦ .

قال مكـــي : « قرأ ابن عامر بغير واو ، وجعله مستأنفاً غـير معطوف على ما قبله ، وقـد علم أن المخبر عنه بهذا القول هو المخبر عنه بمنع ذكر الله في المساجد ، والسعي في خرابها .

وكذلك هي في مصاحف أهل الشام بغير واو .

وقرأ الباقون بالواو ، وقالوا : الواو على العطف على ما قبله ، كأن الذين أخبر الله عنهـم بمنع ذلك في المساجد ، والسعي في خرابهـا هم الذين قالوا : اتخذ الله ولدا . فوجب عطف آخر الكلام على أوله لأنه كله إخبار عن النصارى . وكذلك هي في جميع المصاحف .

ثم قال : وإثبات الواو هو الاختيار لثباتها في أكثر المصاحف ، ولأن الكـلام علة قصة واحـدة ، وإجماع القراء عليه سوى ابـن عـامر(١) .

٢ — « ثلاث مائة سنين(٢) » :

حمزة والكسائي بإضافة مائة إلى سنين ، ونون البـاقون بغير إضافة وحجة من أضاف أنه أجرى الاضافة إلى الجمع كالإضافـة إلى الواحد من قولك : ثلاث مائة دراهم ، وثلاث مائة سنة ، وحسن ذلك لأن الواحد في هذا الباب هو بمعنى الجمع ، فحمل الكلام عـلى المعنى وهـو الأصل ، لكنـه يبعد لقلة استعماله ، وقـد منعه المبرد ولم يجـزه وحجته ما ذكرنا .

وحجة من لم يضف أن هذا العدد إنمـا يبين بواحد يضاف إليه وليس المستعمل منـه أن يضاف إلى جمع إلا أن يكـون فيما دون العشرة فيضاف إلى جمع للمشاكلة في أن كل واحـد مـن الجمعين لأقل العـدد .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات جـ ١ ص : ١٣٢ رقم ١٩٩٨٢ ب دار الكتب .

(٢) سورة الكهف آية : ٢٥ .

ولم يضف في الكسرة لاختلاف معنييهما فلم يضف ، ونون المائة وجعل سنين بدلاً من ثلاث فكأنه قال : « ولبثوا في كهفهم سنين » وقيل : سنين عطف بيان ، وقيل : هي بدل من مائة ، لأن مائة بمعنى مائتين ، والتنوين هو الاختيار لأنه المستعمل المشهور ، ولأن الأكثر عليه(١) .

٧ – إعراب القراءات الشواذ :

مؤلف هذا الكتاب محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري(٢) : والكتاب مصور يشتمل على جزأين ، الجزء الأول يضم ١٠٧ لوحة والثاني ١٠٦ لوحة ورقمه ١١٩٩ – تفسير – دار الكتب .

والغرض من تأليف هذا الكتاب هو التعليل لقراءات الشاذة الخارجة عن قراءات العشرة المشهورين . يقول « التمس مني أن أملي كتاباً يشتمل على تعليل القراءات الشاذة الخارجة عن قراءات العشرة المشهورين خاصة ، لأن القراءات المشهورة قد اشتمل على تعليلها كتابنا في إعراب القرآن فأجبته إلى ذلك »(٣) .

منهجه :

صور من احتجاج العكبري للقراءات :

ذكر في مقدمته لهذا الكتاب أن منهجه يقوم على أمرين :

الأمر الأول : ذكر القراءات الشاذة ، وحكاية ألفاظها من غير نسبتها إلى قارئ .

الأمر الثاني : ذكر وجوه هذه القراءات من جهة النحو والتخريج على سبيل الاستيفاء والإيجاز .

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات لوحة ٢٩ . نسخة مصورة رقم ١٩٦٧١ ب .

(٢) ترجمة بالبغية ص : ٢٨١ .

(٣) إعراب القراءات الشواذ ج ١ لوحة ١ رقم ١١٩٩ – تفسير – دار الكتب .

قال : « واقتصرت على حكاية ألفاظهـــا دون من عزيت إليه ، وذكرت وجوهها على الاستيفاء والاختصار »(١) .

١ – « الرحمن الرحيـــم »(٢) .

قال العكـــبري : يقرأ بالنصب فيهما على أنه أضمر أعني أو أمدح ، وهـــذا يسمى النصب على المدح ، ولا خلاف بـــين أهل العربيـة في جـــوازه .

والعكـــبري ، لا يقتصر على نقل آراء غيره بل يحاول أن تكون له شخصيتـــه المستقلة في البحث فيقول : « وفيه عنـــدي وجه آخـــر ، وهو أن يكون بمعنى التسمية وتكـــون الباء متعلقة بفعل محـــذوف تقديره ابدءوا بتسمية الله الرحمن الرحيم ، ففي النصب على هذا وجهان :

أحدهما : أن يكون مفعولاً ثانياً أي بأن تسموا الله الرحمـــن الرحيم كقولك سميتك زيدا .

والثاني : أن يكون منصوبا عـــلى الموضع كما تقول : مررت بزيد الظريف . . . فتحملهما عـــلى الموضع لأن موضع الجار والمجـــرور نصب)(٣) .

٢ – ويحاول أن يخضع القـــراءة الشاذة للقيـــاس النحـــوي والسماع معـــاً فيقول في قوله تعـــالى « رب العـــالمين »(٤) « يقـــرأ بالنصب – والوجه فيه أنه عـــلى المدح كما تقـــدم في الرحمن ، وقيل هو على النـــداء ، أي يارب العالمين ، وفيه بعد ، ويقرأ بالرفع عـــلى تقدير : هو رب فهذا وجه حسن » .

ثم قال في قوله « العالمين » يقرأ بالهمزة ساكنة ، قـــال : وهـــذه لغة وردت الرواية بها . قالوا : عألم ، وخأتم ، وأنشدوا للعجاج :

---

(١) المرجع نفسه لوحة ١ .
(٢) سورة الفاتحة آية : ٢ .
(٣) اعراب القراءات الشواذ ج ١ لوحة ٢ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٢ .

• فخندف هامة هذا العالم •

ثم قال :

« فإن قيل فما وجه الهمز من القيـــاس ، قيل الألف والهمزة من مخرج واحد ، والهمزة حرف حي ، والألف ضعيف في غاية اللـــين ، فعدل عنها إلى ما يصاحبها في المخرج ، وهو أقوى منها ، ولأن الهمـــزة إذا سكنت ، وانفتح ما قبلها يجوز أن تقلب ألفاً ، مثـــل : فأس ، ورأس ، ما كان ذلك إلا لشبهها بها ، فأبدال الألف همزة قيـــاس لما بينهما من الشبه ، ولأن في ذلك ضربا من الاقتصاص » (١) .

٣ – « ويهلك الحرث والنسل »(٢) :

قال العكـــبري : « يقرأ برفع الكاف أي وهو يهلك ، ويقرأ بفتح الياء واللام ، ورفـــع الحرث ، وهي لغة ضعيفة ، لأن المـــاضي هلك بفتح اللام فيكون المستقبل مكسور اللام .

(ومن فتح اللام في المستقبل جاز أن يكون هلك بكسر اللام وهي لغة مجهولة أو يكون لغتين من قبيلتين تداخلتا) (٣) .

٤ – « آزر »(٤) :

قال العكـــبري (الجمهور بفتـــح الراء ، وهو بدل من أبيه ولم ينصرف للعجمة والتعريف ، ويقرأ بالرفع تقديره : يا آزر بجعـــــل الهمزة الأولى للنـــــداء ، ويقرأ بهمزتين مفتوحتين ، ليس بينهما ألف ونصب الراء ، وتنوينها جعله مصدراً ، ومنهم من يكسر الثـــانية ، وكل يحتمل أن يكون لغات فيه ، ومن نونه أخذه من الأزر فهو عربي)(٥) .

---

(١) اعراب القراءات الشواذ ج ١ لوحة ٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٠٥ .
(٣) اعراب القرءات الشواذ ج ١ لوحة ٣١ .
(٤) سورة الأنعـــام آية : ٧٤ .
(٥) اعراب القراءات الشواذ ج ١ لوحة ٦٨ .

٥ ـ « تماماً على الذي أحسن »(١) :

يقرأ بفتح النون على أنه فعـل ماض ، ويقرأ أحسن عـلى ما لـم يسم فاعله أي أحسن إليه ، أو أحسن حاله .

ويقرأ : أحسنوا عـلى الجمع ، وعلى هذا الأصل « الذين أحسنوا » فحذف نون الذين لطـول الكلام بالموصول والصلة ، وقـد جـاء في الشعر :

أبني كليب إنّ عمـى اللذا

قتلا الملوك ، وفككـا الأغلالا

ثم قال : ويقرأ بضم النون من غير واو ، تقـديره : الذي هو أحسن فحذف العـائد ونظيره ما حكاه الخليل : ما أنا بالذي قائل لك شيئاً الذي هو ، وجاز الحذف لطـول الكلام(٢) .

٦ ـ « أكاد أخفيهـا »(٣) :

يقرأ بفتـح الهمزة أي أظهرها ، يقال : خفيت الشيء أي ظهرته ، وأما ضم الهمزة فيكون بمعنى الإظهـار والإسرار من الأضداد(٤) .

انتهى بحمـد الله . .

الكويت شوال ١٣٩٨هـ الموافق سبتمبر ١٩٧٨م

---

(١) سورة الأنعـام آية : ١٥٤ .
(٢) إعراب القراءات الشواذ جـ ١ لوحة ٧٣ .
(٣) سورة طـه آية : ١٥ .
(٤) اعراب القراءات الشواذ جـ ١ لوحة ١٨ .

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

أثر القراءات في الدراسات النحوية

فهرس الآيات القرآنية

– وباطلٌ ما كانوا يعملون	١٣٩	=	٩٩
– وإنْ يَرَوْا سبيل الرُّشْد	١٤٦	=	٣٥
– أصيبُ به من أشاء	١٥٦	=	١٣٠
– نَغْفِرْ لكم خطيئاتكم	١٦١	=	١٧٠
– إنّ الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم	١٩٤	= "	٩٣
– وعَلِم أنّ فيكم ضَعْفاً	٦٦	الأنفال	٣٥
– ومـا كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه	١١٤	التوبة "	١٠
– فبذلك فَلْيفرحوا	٥٨	يونس	٦٠
– فأجْمعوا أمرَكم وشركاءكُم	٧١	"	٨٩
– يمتّعَكم متاعاً حسناً	٣	هـود	١١٧
– فعقروها فقال تمتعوا في داركم	٦٥	"	١١٧
– وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ	٦٧	"	١١٧
– وهذا بعلي شيخاً	٧٢	"	١٠٤
– هؤلاء بناتي هـن أطهر لكم	٧٨	"	١٨
– عذاب يوم محيط	٨٤	"	٧٢
– يا بشرى هذا غلام	١٩	يوسف	٣٠
– وقال نسوة في المدينة	٣٠	"	١١٧
– حتى حين	٣٥	"	٢٥
– وجعل السِّقاية في رحل أخيه	٧٠	"	١٣
– فلما استيئسوا منه خلصوا نَجِيّاً	٨٠	"	٤٩
– إنه من يتّق ويصبرْ	٩٠	"	١٢٣
– السّحاب الثّقال	١٢	الرعـد	١١٥
– طوبـى لهـم	٢٩	"	٣٥
– وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه	٤	ابراهيم	٢٢

فهرس الحديث الشريف

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس الأعلام

ت

ق

ى

القبائل

البلاد

الأماكن

المراجع

أولاً : المخطوطات

١ – إتحاف فضلاء البشر للشيخ أحمد بن محمد البنا
رقم ٧٣ – قراءات – دار الكتب .

٢ – إعراب القراءات الشواذ للعكبرىّ
رقم ١١٩٩ – تفسير – دار الكتب المصرية

٣ – إعراب القرآن لابن الأنبارى
رقم ٦٤٤ – تفسير – دار الكتب المصرية

٤ – إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج
رقم ٥٢٨ – تفسير – دار الكتب المصرية

٥ – إعراب القرآن للسفاقسيّ
رقم ٢٢٢ – تفسير – دار الكتب المصرية

٦ – إعراب القرآن لأبـي جعفر النحاس
رقم ٤٨ – تفسير – دار الكتب المصرية

٧ – أمالى ابـــن الحاجـــــــــب
رقم ١٠٣٤ – نحو – دار الكتب المصرية

٨ – تفسير مشكل إعراب القرآن لعلىّ بن أبـي طالب
رقم ٢٣٢ – تفسير – دار الكتب المصرية

٩ – لطائف الإشارات في علم القراءات لشهاب الدين العسطلانـــي .
مخطوط دار الكتب

١٠– ما تفرد به بعض أئمة اللغة للصاغانـي
رقم ٤١٨ لغة دار الكتب

١١– المحتسب لابـــن جنـــــى
رقم ٣٧٩ – تفسير – دار الكتب المصريـة

١٢- المدرسة النحوية في مصر والشام رسالة ماجستير للمؤلف مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم وتطبع حالياً بدار الشرق ببيروت .
مخطوطة بمكتبة كلية العلوم .
١٣- معاني القرآن للزجـــاج
رقم ١١١ - تفسير - دار الكتب المصرية

ثانيا - المطبوعات

١٤- الإتقان للسيوطـــــــــي
مطبعة الحلبي طبعة ثالثة
١٥- أدب مصر الإسلامية للدكتور محمد كامل حسين
مطبعــة الوفــد
١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الجزري المعروف بابن الأثير طبع ١٢٨٦ هـ .
١٧- الأشباه والنظائــر للسيوطــي
طبع الهند .
١٨- الأشمونـــي
طبــع الحلبي
١٩- إصلاح المنطق لابن السكيت تحقيق الأشعاذين : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون .
طبع دار المعارف
٢٠- أصول النحو لسعيد الأفغانـــي
مطبعة الجامعة السورية ط ثانية
٢١- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي
مطبعة الاستقامة ط سادسة .
٢٢- إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه
مطبعة دار الكتب المصرية
٢٣- أقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتونــي
المطبعة اليوسعية ١٨٨٩ .

٢٤- الأمالى لأبي القاسم الزجاجـــى
مطبعة السعادة
٢٥- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري
مطبعة الحلبي
٢٦- الانتصاف لأحمد بن المنير
مطبعة الاستقامة طبعة ثانية
٢٧- الإنصاف لابن الأنباري . تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .
٢٨- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي
مطبعة السعادة طبعة أولى
٢٩- بغيـــة الدعـــــاة للسيوطي
٣٠- البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط - ثانية .
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
٣١- تاج العروس : للسيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدى .
المطبعة الوهبية
٣٢- تاريخ القرآن لابن عبد الله الزنجاني .
٣٣- تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة . تحقيق السيد أحمد صقر .
دار احياء الكتب العربية .
٣٤- تفسير الطبري .
٣٥- التصحيف والتحريف للسّكرى طبع ١٩٠٨ - مصر .
٣٦- التنبيهات على أغاليط الرواة .
٣٧- حاشية بن جماعة على شرح الشافية .
٣٨- الحجة لابن خالويه - تحقيق د . عبد العال سالم مكرم .
طبع دار الشروق - بيروت .
٣٩- الحجة لابن على الفارس - تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي وآخرين
دار الكاتب العربي
٤٠- الخصائص لابن جني تحقيق الشيخ محمد على النجار
دار الكتب المصرية .

٤١- الدرر اللوامع للشنقيطي .

مطبعة السعادة

٤٢- درة الغواص في أوهام الخواص للحريري

مطبعة الجوائب - طبعة أولى .

٤٣- ديوان الفرزدق .

مطبعة الصاوي .

٤٤- ديوان النابغة . من مجموعة خمسة دواوين .

المطبعة الوهبية

٤٥- رسالة الغفران . تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن .

دار المعارف بمصر .

٤٦- شرح الجار بردى على الشافية

٤٧- شرح شذور الذهب .

مطبعة مصطفى محمد .

٤٨- شرح شواهد العينى . هامش الأشموني .

٤٩- شرح ابن عقيل .

المطبعة الرحمانية

٥٠- شرح ابن القاصح على الشاطبية .

المطبعة الأزهرية .

٥١- شرح المفصل لابن يعيش .

ادارة الطباعة المنيرية .

٥٢- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك .

تحقيق فؤاد عبد الباقي .

نشر دار العروبة .

٥٣- شواهد المغني للسيوطي .

المطبعة البهية بمصر .

٥٤- صبح الأعشى لأبى العباس أحمد الفلقشندى .

طبع دار الكتب المصرية .

٥٥- صحيـح البخـاري .
المطبعة الأميرية .
٥٦- الطراز ليحيى بن حمزة العلوي طبع ١٩١٤ .
٥٧- العربية - ليوهان فك . ترجمة الدكتور المرحوم عبد الحليم النجار .
٥٨- فتح الباري لابن حجر العسقلاني .
المطبعة البهية بمصر .
٥٩- فقه اللغة : للدكتور على عبد الواحد وافي .
مطبعة لجنة البيان العربي - طبعة ثالثة -
٦٠- فلسفة اللغة العربية وتطورها لجبر صنومط
مطبعة المقطف .
٦١- الفهرست لابن النديم .
مطبعة الاستقامة .
٦٢- في الأدب الجاهلى لطه حسين .
دار المعارف بمصر .
٦٣- القراءات واللهجات لعبد الوهاب حموده
مطبعة السعادة - طبعة أولى .
٦٤- الكامل في اللغة والأدب للمبرد .
تحفيق الدكتور زكي مبارك .
٦٥- الكتاب لسيبويه .
المطبعة الأميرية .
٦٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشرى .
٦٧- الكلمات الحسان في الحروف السبعة للشيخ محمد بخيت المطيعي .
المطبعة الخيرية .
٦٨- اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس .
٦٩- مباحث في علوم القرآن : للدكتور صبحي الصالح
٧٠- المثل السائر لضياء الدين المعروف بابن الأثير .

٧١- مجاز القرآن لأبي عبيدة . تحقيق محمد فؤاد سزكن .
٧٢- مجلة الأزهـــر .
مشيخة الأزهر .
٧٣- مجلة المجمع اللغوي .
٧٤- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للمرحوم الشيخ محمد الخضري .
٧٥- مختصر المنتهى الأصولى لابن الحاجب .
مطبعة كردستان العلمية .
٧٦- مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسيهر ترجمة المرحوم الدكتور محمد عبد الحليم النجار .
٧٧- المزهر للسيوطي تحقيق محمد أبي الفضل وآخرين .
مطبعة عيسى البابي الحلبي .
٧٨- المصاحف لابن أبي داود .
٧٩- معاني القرآن للفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد على النجار .
طبع دار الكتب المصرية .
٨٠- معجم الأدباء لياقوت .
٨١- مفاتيح الغيب للإمام محمد الرازي .
المطبعة الخيرية .
٨٢- مقدمتان في علوم القرآن .
٨٣- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني .
مطبعة الحلبي ط ثالثة .
٨٤- المنصف لابن جنى تحقيق الأستاذان ابراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين .
مصطفى الحلبى .
٨٥- الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس .
مطبعة السعادة . ط أولى .
٨٦- النشر في القراءات العشر لابن الجزري طبع مصطفى محمد .
٨٧- همع الهوامع للسيوطى .
مطبعة السعادة .
٨٨- وفيات الأعيان لابن خلكان ط ١٣١٠ .